رسالة إلى الوثنيين

للقديس اثناسيوس الرسولى

نقلها الى العربية

حافظ داود

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة

مطبعة ملجأ الأيتام القبطى بمصر ت ٥٢٥٨٦

رسالة إلى الوثنيين

للقديس اثناسيوس الرسولى

نقلها الى العربية

حافظ داود

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة

مطبعة ملجأ الأيتام القبطى بمصر



القديس اثناسيوس الرسولي

كتب للمعرب

تطلب من مكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية

الدسقولية أو تعاليم الرسل

تفسير قداس الكنيسة القبطية الارثوذكسية

حياة يوسف	ف . ب . ماير
« ابراهيم	
« إيليا	
« ارميا	
« بطرس	

كيف تدرس الكتاب المقدس

رسالة إلى الوثنيين	القديس اثناسيوس الرسولى
تجسد الكلمة	

نحميا	متى هنرى
نشيد الانشاد	
الجامعة	
هوشع	
روميه	

شهادة علم الآثار للكتاب المقدس : هودجكن

دراسات مختصرة عن حياة المسيح وتعاليمه

امثـــلة المسيح

مقدمة للرسالة

هذه الرسالة والتي تليها (تجسد الكلمة) تكونان في الواقع فصلين من سفر واحد . فإن چيروم Jerome يشير اليهما « كسفرين ضد الوثنيين » .

وكلتاهما موجهتان إلى الوثنيين ، على أنه يلاحظ في الرسالة التي نحن بصددها أن النقد موجه بصفة أخص وبدرجة أقوى إلى معتقدات الوثنيين وعباداتهم . وكلتاهما ترجعان إلى أوائل أيام اثناسيوس . ولذا فاننا لا نجد فيهما أثراً للثورة الاريوسية (حتى في فصل ٤٦ : ٨ من هذه الرسالة . أنظر أيضاً الحاشية) التي قامت سنة ٣١٩ قبل أن يبلغ الثانية والعشرين من عمره . ولا يعرف بالتحقيق وقت كتابتهما . أما الاشارة الواردة في فصل ٩ : ٥ بان مصر تأليه الأباطرة بقرار من مجلس الشيوخ

قد زال وانتهى فانها تشير إلى تجديد قسطنطين كنهاية للمرحلة. وأما وصول رسالة «تجسد الكلمة» إلى أقصى درجات البلاغة لدرجة اعتبارها كقطعة أنموذجية فى علم اللاهوت المسيحى فانه يدفعنا إلى اعتقاد بانها وزميلتها قد كتبتا فى وقت متأخر جداً. لاجل كل هذه الاسباب فالمرجح انهما كتبتا فى سنة ٣١٨ أو قبيلها بقليل، أى حينما كان عمر اثناسيوس ٢١ سنة.

والغرض من كتابة هذه الرسالة هو (فصل ١) لتوضيح سمو الايمان المسيحى ومعقوليته. وأعظم ما يوضح الايمان نتائجه العملية. ولكن لكى يكون لهذه النتائج تأثيرها يجب تطهير العقل من كل الشوائب. ومن هنا نتبين ضرورة مهاجمة العبادة الوثنية، الأمر الذى يستنتج من نفس سبب الشر بوجه عام. أى من ابتعاد الانسان عن مثله الأعلى — «الكلمة» (ف٢-٥) وباساءة استعمال الانسان لقوة الاختيار السليم التى وهبت له سقط (ف٦-٨) فى وهدة العبادة الوثنية وضلالاتها وانحط من درجته (ف ٩ - ١٥). بعد ذلك يناقش الحجج الشائعة للعبادة الوثنية وبراهينها العلمية (ف ١٦ - ٢٦) وبذلك يصل إلى النقطة الرئيسية عن ادراك الله. فيبرهن فى (ف ٢٧-٢٩) ان الله ليس هو الطبيعة ... ذلك من اعتبار اجزاء الكون

المختلفة بعضها على بعض ، إذاً فلا يمكن أن يكون أحدها هو الله ، أو كلها مجتمعة ، لأن الله لا يمكن أن يكون مكوناً من أجزاء يعتمد عليها ، بل هو نفسه مصدر وجود الكل . إله كهذا تستطيع روح الانسان أن تدركه (ف ٣٠ - ٣٣) بل لا بد أن تدركه إذا تطهرت من الخطية (ف ٣٤) . واذا اعاقتها نقائصها عن هذا فان مظاهر العقل والنظام فى الكون (ف ٣٥ - ٤٦) تعينها على إدراك صنعة الله ، ووجود « الكلمة » والله الآب عن طريق « الكلمة » . أن رجوع الانسان الخاطئ . وانتشاله من وهدة السقوط لا يمكن أن يتم إلا برجوعه الى الكلمة (ف ٤٧) . وهذا يمهد الطريق للبحث الذى يعالجه القديس اثناسيوس فى كتابه التالى « تجسد الكلمة » .

هذا هو الاتجاه العام للرسالة الى الوثنيين ، وأن أهميتها العظمى أمر لا شك فيه قط . ونحن نعترف فى نفس الوقت أن بعض تفاصيلها قد لا تلذ للقارئ فى العصر الحالى . فى هذه الرسالة والتى تليها يتطلع اثناسيوس الى الامام والى الخلف . فالرسالة الثانية — عن التجسد — يراها علماء اللاهوت فى الوقت الحاضر جوهرية جداً . ويرون فيها آراء أكثر حداثة من أى بحث لاهوتى فى جميع الأجيال السابقة الى الآن . أما الرسالة

إلى الوثنيين فان ابحاثها عن الامور السحيقة التى تلاشت كلية(١) ، وحججها الموجهة الى الكثير من الآراء التى تبدو غريبة عنا كل الغرابة ، ونظرتها إلى بداية وتاريخ العبادة الوثنية ، ونظرياتها العلمية العتيقة (ف ٣٦ ، ٤٤ ، ٣٩) ، وحججها التى قد تبدو ضعيفة (ف ١٦ ، ٣٣ : ١) - كل هذه قد تنفر قراء العصر الحاضر لدى قراءتها لأول مرة . ولعل هذا يفسر السبب فى عدم ترجمتها قبل الآن . ولكن رغم كل هذا فان تكرار درس هذه الرسالة يزيدها قيمة فى نظر القراء . فان سموها من الناحية الادبية ، وتركيز البحث فى الحقائق المسيحية الرئيسية ، ودقة التحرى فى معالجة بعض المشاكل كالشر والخطية ، وعلاقة الله بالطبيعة ، والمقارنة الادبية بين عقيدة المسيحية فى الاله الواحد والعقيدة الوثنية فى تعدد الآلهة ، وفوق كل هذا ان العقلية المتسعة ، وحجة المنطق - هذه تبرز الكتاب كسفر نفيس ، وكسفر جدير بان يكون متمما لقرينه الذائع الصيت .

وهذان السفران كما قال شاف Schaff فى كتابه Nicene Christianity صفحة ٨٢ هما اول مجهود علمى فى

---

(١) على ان الموقف يختلف كل الاختلاف فى البلاد الوثنية . وقد نشرت فى بلاد الهند ترجمة انكليزية لهذا السفر منذ مدة وجيزة

المسيحية عن بعض العقائد الاساسية المتعلقة بالله والعالم، الخطية والفداء. ويمكن اعتبارهما الفاكهة الناضجة للبراهين الايجابية فى الكنيسة الارثوذكسية، وذلك بعد كتاب « المبادىء » لأوريجانوس. لقد أكثر كتاب المسيحية الاولون من مهاجمة العبادة الوثنية وكتاباتها. ولكن ما يميز اثناسيوس عمن سبقوه - عدا اوريجانوس - هو طريقة كتاباته المبتكرة. وأن تضامن الفلسفة مع العبادات الوثنية الشائعة وقتئذ جعل أمام المسيحية مهمة جديدة شاقة نحو قوة التدليل. فان الفلسفة الافلاطونية الحديثة اذ انزعجت بسبب تقدم المسيحية تضاعف مجهودها نحو تدعيم نظرياتها بالحجج الفلسفية.

ومما يلاحظ اخيراً أن آثار نظريات اوريجانوس واتباعه ظاهرة فى هاتين الرسالتين اللتين كتبهما فى أوائل حياته أكثر من ظهورها فى كتاباته التالية. وفى رسالة ,, تجسد الكلمة ،، (ف ٤١) نراه ينتفع بالنظرية الافلاطونية عن ,, الكلمة ،، (Logos) دون الاسهاب فى شرح الاختلاف الجوهرى بينها وبين العقيدة المسيحية. كذلك نرى آثار تعاليم أوريجانوس فى نظريته عن طبيعة الشر باعتبار أنه سلبى محض (انظر ف ٥ بالمقارنة مع ما ورد فى تعاليم أوريجانوس

في تفسيره لجنة عدن بانها رمزية (Orig. C. Cels. iv 66 (انظر ف ٢ : ٤ ، ٣ : ٣).

وعلى العموم أن تفكير أثناسيوس أثناء المنازعات الأريوسية كان أبعد ما يكون عن عقلية اوريجانوس وأقرب ما يكون إلى عقلية الغربيين في طريقة البحث.

ويمكن تبويب هذه الرسالة كما يلي :

الفصل الاول

مقدمة . غرض الكتاب توضيح العقيدة المسيحية سيما عقيدة الصليب ، وذلك تبرئة لها من هجمات الوثنيين . نتائج هذه العقيدة .

١ — أن معرفة ديانتنا وحقيقة الامور لا تحتاج إلى معلمين من البشر بقدر ما هى واضحة من تلقاء ذاتها ، لانها فى كل يوم تؤكد نفسها بالوقائع الملموسة ، وتظهر نفسها أسطع من الشمس ، وذلك بتعاليم المسيح .

٢ — ومع ذلك فطالما كنت تتوق أن تسمع عنها أيها العزيز مكاريوس (١) . تعال لنبسط بعض نقط قليلة عن إيمان المسيح على قدر الاستطاعة . ورغم انك تستطيع أن تلبينها من الاقوال الالهية الا أنك بكرمك تريد الاستماع من غيرك أيضاً .

٣ — لانه رغماً عن أن الكتب المقدسة الموحى بها كافية لتوضيح الحق (٢) ، ومع أنه توجد مؤلفات أخرى لمعلمينا

---

(١) انظر الملاحظة عن هذا فى « تجسد الكلمة » الفصل الاول س . ١ . قد يكون هذا الاسم مستعملا رمزيا . ولكن وروده فى كلتا الرسالتين يدل على ان المقصود شخص معين . ويغلب على الظن انه شخص مسيحى له دراية بالكتاب المقدس

(٢) هذا ما يصرح به اثناسيوس دواماً . انظر « تجسد الكلمة » ف ٥

المغبوطين(١) وضعت لهذه الغاية ، إذا ما عثر عليها المرء حصل على بعض المعلومات عن تفسير الاسفار المقدسة ، واستطاع أن يتعلم ما يريد معرفته . رغم ذلك فطالما لا توجد بين أيدينا في الوقت الحاضر مؤلفات معلمينا لنبعث اليك — كتابة — ما تعلمناه منهم عن الايمان ، أعنى إيمان المسيح المخلص ، لئلا يظن أحد أن التعاليم التى نودى بها بيننا رخيصة ، أو يتوهم أن الايمان بالمسيح غير معقول . لان هذا ما يتهمنا به الامم ويهزأون بنا ويضحكون علينا جداً من أجله ، مصرين على التحدث عن هذه الحقيقة الواحدة عن صليب المسيح . وهنا لا يسع المرء إلا الاشفاق عليهم لانعدام عقليتهم . لانهم إذ يهزأون بصليب المسيح فانهم لا يرون أن قوته ملأت كل العالم ، وأن به أصبحت نتائج معرفة الله ظاهرة للجميع .

٤ — لانهم لو كانوا قد التفتوا باخلاص الى طبيعته الالهية أيضاً لما كانوا قد هزأوا بحقيقة كهذه ، بل لكانوا بالعكس قد أدركوا بدورهم أن هذا الانسان هو مخلص العالم ، وأن الصليب لم يكن كارثة ، بل كان شفاء للخليقة

---

(١) تجسد الكلمة ... أيضاً لمؤلفات معلمى مدرسة الاسكندرية ككتاب اوريجانوس (المبادىء)

٥ — لانه أن كان بعد الصليب قد اندثرت كل العبادة الوثنية بينما تتبدد كل مظاهر الشياطين بهذه العلامة (١)، وأصبح المسيح وحده هو الذى يُعبد، وبه يُعرف الاب، وأن كان المخالفون قد خزوا، لانه كل يوم يربح نفوس هؤلاء المخالفين (٢) بطريقة غـــير منظورة — ألا يحق للمرء أن يسألهم: ألا زلتم ترون ان هذا الامر بشرى عوضاً عن الاعتراف بان ذاك الذى صعد على الصليب هو كلمة الله ومخلص العالم؟ على أنه يبدو لى أن هؤلاء الاشخاص الاشرار جداً كمن يعير الشمس إذا غطتها السحب، مع أنه لايزال يعجب بنورها إذ يرى ان كل الخليقة تستضىء بها

٦ — لأنه إن كان النور شريفاً، والشمس — باعثة النور — أشرف، على هذا القياس نقول إن كان إمتلاء العالم كله بمعرفة الله أمراً إلهياً، فبالتالى يكون باعث هذا الاجراء هو الله " وكلمة " الله

٧ — إذن فنحن نتحدث حسب طاقتنا مفندين أولا جهل غير المؤمنين، حتى إذا ما زهق الباطل ظهر الحق من تلقاء

(١) علامة الصليب . انظر (تجسد الكلمة) ٤٧ : ٢ ، ٤٨ : ٣

(٢) انظر (تجسد الكلمة) ٥٠ : ٣ ، ٥١ : ٣ الخ

ذاته ، وزدت أنت أيها الصديق تأكيداً أن ما آمنت به حق ، وانك إذ عرفت المسيح لم تخدع . وفضلا عن هذا فأعتقد انه من اللائق أن أوجه الحديث إليك - كمحب للمسيح - عن المسيح ، طالما كنت واثقاً انك تحسب الايمان به ومعرفته أسمى من أى شيء آخر على الاطلاق ..

الباب الاول

الفصل الثانى

ليس الشر عنصراً أساسياً فى طبيعة الأشياء . خلقة الانسان الأصلية وتكوينه فى النعمة وفى معرفة الله

١ — فى البدء لم يكن الشر موجوداً . بل انه ليس له وجود الآن فى الذين قد تقدسوا ، كما انه ليست له علاقة بطبيعتهم بأى حال من الأحـــوال . على أن الناس فيما بعد بدأوا يخترعونه ، ويحكمون صنعه لضررهم . ومن ثم اخترعوا الأصنام أيضاً حاسبين غير الموجود كأن له وجود

٢ — لأن الله جابل الكل وملك الكل الذى يعلو على كل جوهر ويعجز البشر عن اكتشافه، نظراً لعظم صلاحه وسموه كل السمو ، خلق - بكلمته مخلصنا يسوع المسيح - الجنس البشرى على صـــورته ، وكون الانسان قادراً على رؤية وادراك الحقائق بواسطة هذه المشابهة لشخصه ، مانحاً إياه أيضاً أن يدرك ويعرف حتى أزليته ، حتى إذا ما احتفظ بطبيعته كاملة لا ينحرف عن فكرته عن الله

قط ، ولا يرتد عن شركة القديسين . بل إذ قد نال نعمته التى وهبها إياه ، ونال أيضاً قوة الله من كلمـــة الآب ، استطاع أن يغتبط وتكون له شركة مع اللاهوت ، عائشاً حياة الخلود كاملة ومباركة يقيناً . لأنه إذ لا يعوق معرفته للاهوت شىء فانه يحتفظ أبداً ـ بطهارته ـ بصورة الآب ، الله الكلمة ، الذى خُلق هو نفسه على صورته . وانه ليدهش إذ يتأمل فى العناية الالهية التى تمتد إلى الكون عن طريق " الكلمة " مرتفعاً عن كل الأشياء الحسية والمظاهر الجسدية ومتصلا بقوة عقله بالالهيات والأشياء التى تدرك بالعقل فى السماوات .

٣ — لأنه حينما لا يتصل العقل البشرى بالاجساد ، ولا يختلط به من الخارج أى شىء من شهواتها ، بل يبقى سامياً فوقها تماماً ، ويظل مستقلا بنفسه كما قصد به من البدء ، فانه يتعالى إلى فوق متسامياً عن الحسيات وكل الأمور البشرية ، وإذ يرى " الكلمة " فانه يرى فيه أيضاً أبا " الكلمة " ، متلذذاً بالتأمل فيه ، ومكتسباً التجديد من الانعطاف نحوه

٤ — وذلك تماماً كأول انسان خلق ـ الذى سمى بالعبرانية آدم ـ إذ وصف فى [illegible] كان متجهاً نحو

الله بحرية لا يعيقها الخجل ، وبأنه كان يشارك القديسين فى التأمل فى الامور التى يدركها العقل ، والتى كان يتمتع بها فى المكان الذى كان فيه ـ الذى دعاه القديس موسى رمزياً بالجنة . لذلك فان طهارة النفس كافية فى حد ذاتها للتأمل فى الله ، كما يقول الرب أيضاً «طوبى للانقياء القلب لانهم يعاينون الله»

الفصل الثالث

انحطاط الانسان من الحالة السالف شرحها ، بسبب انهماكه فى الماديات

١ — اذن فهكذا صور الخالق جنس البشر كما قلنا ، وهكذا قصد به أن يستمر . ولكن الناس اذ استخفوا بالأمور الأفضل ، ورفضوا ادراكها ، بدأوا يبحثون عن الأمور الاقرب إليهم التى فضلوها على تلك .

٢ — على أن الامور الأقرب إليهم هى الجسد وحواسه . وهكذا إذ ابعدوا عقلهم عن الأشياء المدركة بالتفكير بدأوا يفكرون فى انفسهم ، وبهذا ، وبحصر الفكر فى الجسد وسائر الامور الاخرى الحسية ، وإذ انخدعوا بما حولهم ، سقطوا فى شهوات أنفسهم ، مفضلين ما هو لذواتهم عن التأمل فيما هو لله . وإذ انغمسوا فى هذه ... تلك الأمور القريبة إليهم ،

أوقعوا نفوسهم في حبائل الملذات الجسدية فاضطربت (نفوسهم) وارتبكت بكل أنواع الشهوات ، بينما نسوا كلية القوة التي نالوها اصلا من الله .

٣ — على أن صحة هذا تتبين في الانسان الذي خلق أولا كما تخبرنا الكتب المقدسة عنه . لانه هو أيضاً طالما كان عقله مركزاً في الله ومداوماً على التأمل في الله كان متحولا عن التأمل في الجسد . ولكنه عندما ابتعد عن التفكير في الله بمشورة الحية ، وبدأ يتأمل في نفسه، فانهما لم يترديا إلى شهوات الجسد فحسب بل عرفا انهما عريانان ، واذ عرفا هذا خجلا . على انهما لم يعرفا انهما عريانان من اللباس بقدر ما عرفا انهما تجردا من التأمل في الامور الالهية وحولا ذهنهما إلى الضد . لانهما إذ ابتعدا عن التأمل في الواحد الحق أي الله ، وعن الرغبة فيه ، فانهما منذ تلك اللحظة انشغلا بشهوات مختلفة وشهوات الحواس الجسدانية المتعددة .

٤ — ونتج من هذا بطبيعة الحال انهما إذ تولدت فيهما الرغبة لكل شيء بلا استثناء بدآ يألفان هذه الرغبات لدرجة انهما كانا يخشيان ان يتركاها . لهذا بدأت النفس تخضع للجبن والخوف والملذات والتفكير في الفناء. لانها لم تشأ أن تترك

شهواتها صارت تخشى الموت وانفصالها عن الجسد . وأيضاً اذ بدأت تشتهى ووجدت انها عاجزة عن اتمام شهواتها تعلمت ارتكاب القتل والمظالم . وهـــذا يدفعنا بطبيعة الحال لكى نوضح على قدر الاستطاعه كيف تفعل هذا

الفصل الرابع

انحدار النفس تدريجياً من الحق الى الباطل بسبب اساءة استعمالها حقها نحو حرية الاختيار

١ — وإذ ابتعدت عن التأمل فى الامور العقلية واستخدمت الاقصى حد كل نواحى نشاط الجسد ، وتلذذت بالتأمل فى الجسد ، ورأت أن الملذات جيدة لها ، فانها ضلت وأساءت استعمال اسم الخير ، وظنت أن الملذات هى خلاصة الخير ، كما لو اصيب انسان بآفة فى عقله وطلب سيفاً ليشهره ضد كل من لقيه وظن ان هذا هو العقل السليم .

٢ — ولكنها إذ تردت فى محبة الملذات فانها بدأت تخرجها فى اشكال مختلفة . لانها أذ هى بالطبيعة متحركة فانها لا تفقد حركتها حتى ولو إبتعدت عن الخير لانها تتحرك لا نحو

الفضيلة فيما بعد ولا لكى ترى الله ، بل تستخدم قواها إستخداماً غريباً مفكرة فيما لا وجود له ومسيئة إستخدام تلك القوى كوسيلة للملذات التى إخترعتها ، طالما كان لها السلطان على ذاتها .

٣ — لانه كما انه فى استطاعتها من الناحية الواحدة أن تنعطف نحو الخير كذلك فى استطاعتها من الناحية الاخرى أن ترفضه ولكنها برفضها الخير فانها تشغل تفكيرها بطبيعة الحال فيما هو ضده ، لانها لا تستطيع مطلقاً أن تمتنع عن الحركة ، فهى كما قلت متحركة بالطبيعة . واذ تعرف سلطانها على ذاتها فانها ترى بانها تستطيع استخدام أعضاء جسدها فى أحداً لا تجاهين ، إما إلى ناحية الموجود أو إلى ناحية العدم .

٤ — على أن الخير هو الموجود ، والشر هو العدم . اذن فانى أقصد بالموجود ما هو خير ، لان له مماثلة فى الله الموجود . واقصد بالعدم ما هو شر لأنه ينحصر فى الاوهام الباطلة فى أفكار البشر . لأنه مع ان للجسد عينين لرؤية الخليقة ولأدراك الخالق بتركيبها المتوافق كل الموافقة ، وأذنين للاصغاء الى الاقوال الالهية ونواميس الله ، ويدين لاتمام الاعمال الضرورية ولرفعهما الى الله فى الصلاة . إلا أن النفس وقد

ابتعدت عن التأمل فى الخير والتحرك فى دائرته فانها تهيم شاردة وتتحرك نحو ما هو ضده.

٥ — وهى — كما قدمت — إذ ارتضت أو اساءت استعمال قواها أدركت أن فى استطاعتها تحريك أعضاء الجسد أيضاً فى اتجاه مضاد. ولذلك فعوضاً عن النظر إلى الخليقة فانها تحول العين إلى الشهوات، مظهرة أن لها هذا السلطان أيضاً. ومتوهمة انها بمجرد التحرك تحتفظ بكرامتها ولا ترتكب أية خطية إذا تصرفت كما تريد وتشتهى، غير عالمة انها لم تخلق لمجرد التحرك بل للتحرك فى الاتجاه المستقيم. وهذا هو الذى من أجله يؤكد لنا أحد الاقوال الرسولية ان «كل الاشياء تحل لى لكن ليس كل الاشياء توافق»(١)

الفصل الخامس

اذن فالشر يتضمن جوهرياً فى اختيار الامور السفلى وتفضيلها على الامور السامية.

١ — على أن وقاحة البشر إذ لم تبال بما هو لائق ومناسب، بل بما هو فى امكانها، بدأت تدفعهم إلى العكس، وبالتالى إذ

---

(١) ١ كو ١٠ : ٢٣

حركت أيديهم الى العكس جعلتها ترتكب القتل ، وقادت اسماعهم إلى العصيان وعدم الطاعة ، وأعضاءهم الاخرى إلى الزنى بدلا من إنتاج النسل الطبيعى ، واللسان إلى النميمة والشتيمة والحلف كذباً بدلا من الكلام اللائق ، والايدى أيضاً إلى السرقة وضرب الاخوة ، وحاسة الشم إلى الروائح الشهوانية المتنوعة ، والاقدام للاسراع فى سفك الدم ، والبطن إلى السكر والنهم (١) .

٢ - وكل هذه رذائل وخطية للنفس . كما إنه لا مبرر لها على الاطلاق ، سوى رفض ما هو أفضل . لانه كما أن قائد العربة إذا ما ركب عربته فى ساحة السباق لا يبالى بالهدف الذى أمامه الذى يجب أن يقود العربة نحوه ، بل يتجاهله ويقود الحصان حسبما يستطيع ، أو بتغيير آخر حسبما يريد ، وكثيراً ما يدوس بعربته من يلتقى بهم ، وكثيراً ما يسقط فى حفر شديدة الانحدار ، ويندفع بسرعة السباق التى آل على نفسه السير بها ، متوهماً انه بهذا لم يخطىء الهدف ، لانه لا يراعى الا الركض ولا يرى انه قد تجاوز الهدف جداً ، هكذا النفس أيضاً ، فانها إذ تحولت عن الاتجاه نحو الله ، ودفعت أعضاء

(١) رو ٣ : ١٠ الخ

الجسد وأبعدتها عما هو لائق ، أو بالحرى طوحت بنفسها معها باعمالها ، فانها تخطىء وتؤذى نفسها ، دون أن ترى انها ضلت الطريق وانحرفت عن هدف الحق ، الذى كان يتطلع إليه المغبوط بولس لابس المسيح عندما قال « أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة المسيح يسوع العليا » (١) . وهكذا إذ جعل هذا القديس الخير هدفه لم يرتكب الشر قط .

الفصل السادس

آراء باطلة عن طبيعة الشر ، أى أن الشر متغلغل فى طبيعة الأشياء ، وله وجود جوهرى . (١) فالوثنيون يقولون أن الشر مستقر فى المادة . دحض هذه الافتراضات (٢) والمعلمون المهرطقون يعلمون بعبود إلهين . دحض هذا من الكتاب المقدس

١ — وإذ انحرف بعض اليونانيين عن الطريق المستقيم ولم يعرفوا المسيح ، نسبوا للشر وجوداً جوهرياً مستقلا . وبهذا ارتكبوا خطأ مزدوجاً . بانكارهم أن الخالق خلق كل الأشياء ، وذلك إن كان للشر كيان مستقل من تلقاء ذاته . أو انهم إن كانوا يقصدون أنه خالق كل الأشياء فانهم بالطبيعة

(١) فى ٣ : ١٤

يعترفون أنه خالق للشر أيضاً . لأن الشر - حسب ادعائهم - كائن ضمن الأشياء الموجودة .

٢ — على أن الأمر واضح كل الوضوح أن هذا ملىء بالمتناقضات علاوة على استحالته . لأن الشر لا يخرج من الخير ، كما أنه غير موجود فى الخير ، ولا هو نتيجة له . وإلا ففى هذه الحالة لا يمكن أن يكون الخير خيراً طالما كان مختلطاً بطبيعة الشر أو نتيجة له .

٣ — ولكن المتحزبين الذين انحرفوا عن تعاليم الكنيسة ، " وانكسرت بهم السفينة من جهة الايمان " (١) يتوهمون خطأهم أيضاً أن للشر كياناً جوهرياً . على انهم يتوهمون استبدادياً وجود إله آخر سوى الاله الحقيقى أبا ربنا يسوع المسيح ، وأنه هو الباعث - غير المخلوق - للشر ، ورأس كل الشرور ، وهو أيضاً بارىء الخليقة . ولكن هؤلاء الاشخاص يمكن دحضهم بسهولة ، لا من الاسفار الألهية فحسب ، بل من الذهن البشرى نفسه ، الذى هو مصدر هذه الاوهام الجنونية .

https://coptic-treasures.com/

(١) ١ تى ١ : ١٩

٤ — ولنبدأ الآن بالقول أن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح يقول فى أناجيله مؤيداً كلمات موسى „ الرب الاله واحد „، „ أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض „، (١) فان كان الله واحداً، وفى نفس الوقت هو رب السماء والأرض، فكيف يمكن أن يكون هنالك إله آخر سواه؟ أو أى مجال يبقى للاله الذى يتوهمونه ان كان الاله الحقيق الواحد يملأ كل الأشياء فى دائرة السماء والارض؟ او كيف يمكن أن يكون هنالك خالق آخر ان كان إله وآب المسيح هو نفسه رب كتصريح المخلص.

٥ — الا اذا نادوا بالمساواة وقالوا أن للاله الشرير مقدرة على اخراج الخير من إله الخير. ولكن أن قالوا هذا فانظر إلى أية هاوية من الالحاد يتردون. لانه إذا تساوت القوى فان الاسمى والافضل لا يمكن إدراكه. ولانه إذا وُجد الواحد رغم ارادة الآخر، فكلاهما متساويان فى القوة وكلاهما متساويان فى الضعف. متساويان لان نفس وجود الواحد انهزام لارادة الآخر. وضعيفان لان ما يحدث هو ضد ارادتهما. ولانه ان كان إله الخير موجوداً رغم ارادة إله الشر، فان إله الشر موجود بالتساوى رغم ارادة إله الخير.

---

(١) مر ١٢ : ٢٩ ، مت ١١ : ٢٥

الفصل السابع

دحض التعليم بوجود إلهين من المنطق . استحالة وجود إلهين . حقيقة الشر هى ما تعلمه الـكنيسة : انه ينشأ ويستقر فى الاختيار المعكوس للنفس العاقلة

١ ـ وهم بنوع أخص يعرضون أنفسهم للأجابة التالية . ان كانت الاشياء المنظورة هى من صنع إله الشر فما هو عمل إله الخير ؟ لانه لا شىء يُنظر سوى عمل الصانع . أو اى دليل لوجود اله الخير على الاطلاق لو لم تكن هنالك أعمال من أعماله حتى يمكن ادراكه بها ؟ لان الصانع يعرف باعماله .

٢ ـ أو كيف يتسنى وجود مبدأين متناقضين ؟ أو ما الذى يفصل بينهما فيكون الواحد بعيداً عن الآخر ؟ لانه يستحيل وجودهما معاً اذ أن كلا منهما يحاول إبادة الآخر . كذلك لا يمكن للواحد أن يوجد فى الآخر ، لان طبيعتيهما غير قابلتين للأندماج وغير متماثلتين . بناء على هذا فان الذى يفصلهما لا بد لا بد أن يكون من طبيعة ثالثة ، أى إله . ولـكن من أى طبيعة يمكن أن يكون هذا الثالث ؟ من طبيعة الخير أو الشر ؟ من المستحيل أن نقرر رأياً ، لانه لا يمكن ان يكون من طبيعة الاثنين .

٣ ـ اذن وقد اتضح أن غرورهم هذا فاسد وجب أن تسطع لامعة حقيقة تعاليم الكنيسة التى تلخص فى أن الشر لم يكن من البدء مع الله او فى الله ، كما انه ليس له وجود جوهرى بل أن البشر لقصورهم عن رؤية الخير بدأوا يخترعون ويتوهمون لأنفسهم ما لم يكن ، متساقين وراء شهواتهم .

٤ ـ لانه كما أنه إذا أغلق انسان عينيه ، والشمس ساطعة وكل الارض مستضيئة بنورها ، وتوهم الظلمة وليس لها وجود ، ثم سار هائماً كأنه فى ظلام ، وتعثر مراراً ، وسقط فى حفر شديدة الانحدار ، متوهماً ان الدنيا مظلمة وليست منيرة ، لأنه لا يرى على الاطلاق رغم توهمه بانه يرى ـ هكذا أيضاً نفس الانسان إذ تغلق عينيها اللتين بهما تستطيع رؤية الله فكرت فى الشر لذاتها ، وأصبحت وهى تتحرك فى الشر لا تعرف انها لا تفعل شيئاً رغم توهمها بانها تفعل شيئاً . لانها تفكر فى العدم ، كما إنها لم تلبث بعد فى طبيعتها الاصلية . ولكن الحالة التى هى فيها هى بطبيعة الحال نتيجة اختلال توازنها .

٥ — لانها خلقت لكى ترى الله ، ولكى تستنير به . ولكنها عوضا عن أن تطلب الله طلبت من تلقاء نفسها الامور الفاسدة وبحثت عن الظلام كما يقول الروح كتابة فى مكان آخر « أن الله

صنع الانسان مستقيماً أما هم فطلبوا إختراعات كثيرة » (١) إذن فقد ثبت أن البشر من البدء إخترعوا ودبروا وتوهموا الشر لأنفسهم . ولكن قد حان الوقت الآن لنقول كيف وصلوا إلى جنون عبادة الأوثان ، لكى تدرك ان اختراع الاوثان نشىء كلية لا عن الخير بل عن الشر . على أن ما ينشأ من الشر لا يمكن بأى حال ان يسمى خيراً ، لانه شر بجملته .

الفصل الثامن

وأصل العبادة الوثنية ممـاثل . واذ اصبحت النفس مادية بتناسيها الله ، وانجرفت فى تيار الامور الارضية حولتها إلى آلهة . فهوى الجنس البشرى الى هاوية من الضلالات والخرافات بدرجة تدعو إلى اليأس والاسى

١ — وإذ لم تقنع النفس البشرية باختراع الشر بدأت بالتدريج تجترىء على ما هو اسوأ وأشر . لانها إذ اختبرت شتى الملذات ، وتناست الالهيات ، وسرت بالاكثر بملذات الجسد التى وضعتها نصب عينيها ، ولم تحفل بشىء سوى الاشياء الحاضرة والتأمل فيها ، لم تعد تفكر أنه يوجد شىء غير المنظور أو أنه يوجد خير سوى الاشياء الوقتية والجسدية ، لذلك فانها

---

(١) جا ٧ : ٢٩

وقد تحولت وتناست انها كانت على صورة الله الصالح لم تعد بالقوة التى فيها ترى الله الـكلمة الذى خلقت على مثاله. ولـكنها إذ ابتعدت عن نفسها صارت تتوهم وتتخيل ما ليس له وجود.

٢ — لانها ـ بمضاعفات الشهوات الجسدية ـ أخفت المرآة التى فيها والتى بها وحدها تستطيع رؤية صورة الآب، لذلك لم تعد ترى ما يجب أن تراه النفس، بل حملت فى كل تيار، وأصبحت لا ترى سوى الاشياء التى تقع تحت الحس. وبالتالى تثقلت بكل الاهواء الجسدية. وإذ ارتبكت وسط تأثيرات هذه الاشياء توهمت أن الله الذى نسيه تفكيرها يوجد فى الاشياء الجسدية المنظورة، معطية الاشياء المنظورة اسم الله، وممجدة فقط تلك الاشياء التى تهواها، والتى تبهج أنظارها.

٣ — بناء على ذلك فالشر هو السبب الذى يجر العبادة الوثنية فى أذياله. لان البشر إذ تعلموا أن يخترعوا الشر الذى ليس له أصل فى حد ذاته، فانهم بنفس الطريقة تخيلوا لانفسهم آلهة من الـكائنات التى ليس لها وجود حقيقى. إذن فـكما أنه إذا غطس الانسان فى الاعماق ولم يعد يرى النور ولا ما يظهر بالنور لان عينيه تحولتا إلى أسفل والمياه كلها فوقه، وإذ أصبح لا يرى إلا الاشياء التى فى الاعماق فانه يتوهم أنه

لا يوجد شيء سواها ، بل أن تلك التي يراها هي وحدها الحقيقية ، هكذا أيضاً إذ فقد أناس العصر السابق عقلهم وغرقوا فى الشهوات واوهام الاشياء الجسدية ونسوا معرفة ومجد الله لبلادة عقولهم ، أو بالحرى لانعدام عقولهم ، فانهم جعلوا لانفسهم آلهة من الاشياء المنظورة ممجدين المخلوق دون الخالق (١) إله ومؤلهين المصنوعات دون السيد علتها و بارئها .

٤ — ولكن كما رأينا فى التشبيه السابق عمن يغطسون فى الاعماق انهم كلما أزدادوا تعمقاً وصلوا ألى أمكنة أظلم وأعمق ، هكذا الحال ايضاً مع البشرية . لانهم لم يلبثوا فى العبادة الوثنية فى حالة بسيطة ، ولم يستمروا فيما بدأوا به ، لكنهم كلما طال بهم الزمن فى حالتهم الاولى إزدادوا توغلا فى اختراع خرافات جديدة . وإذ لم يكتفوا بالشرور الاولى إزدادوا توغلا فى غيرها ، وإزدادوا تقدماً فى الخزى الذى لا مزيد له ، وتنافسوا فى اعمال الفجور . وعن هذا تشهد الكتب الالهية إذ تقول « اذا جاء الشرير الى عمق الشرور فانه يزدرى (٢) »

---

(١) رو ١ : ٢٥ (٢) أم ١٨ : ٣ (الترجمة السبعينية)

الفصل التاسع

امتداد العبادة الوثنية باشكال مختلفة : عبادة الاجرام السماوية ، والعناصر ، والاشياء الطبيعية ، والمخلوقات الخرافية ، والشهوات المجسمة ، والبشر الاحياء والاموات . حالة انتينوس والاباطرة المؤلهين

١ — لأن ذهن البشر قفز مبتعداً عن الله ، وإذ ازدادوا تسفلا فى أفكارهم وأوهامهم أعطوا المجد اللائق بالله أولا للسماء والشمس والقمر والنجوم ، متوهمين أنها ليست آلهة فحسب بل هى أيضاً علة الالهة الاخرى التى هى دونها وإذ إزدادوا تسفلا فى أوهامهم المظلمة أطلقوا اسم الالهة على الاثير العلوى والهواء وما فى الهواء . وإذ إزدادوا توغلا فى الشر الهوا العناصر والمبادىء التى تتكون منها الاجسام ، الحرارة والبرودة والجفاف والرطوبة .

٢ — ولكن كما أن الذين سقطوا بالكلية يزحفون فى الوحل كالقواقع الارضية ، هكذا إذ إزداد أشر البشر تسفلا وابتعاد عن فكرة الله أقاموا البشر كآلهة ، وكذا أشكال البشر ، بعضهم لا يزالون أحياء والبعض الآخر حتى بعد موتهم . والاكثر من ذلك انهم إذ فكروا فيما هو أشر خولوا أخيراً اسم الله

السامى الالهى للاحجار والاخشاب وزحافات الارض والماء والبهائم البرية غير العاقلة ، مقدمين لها كل كرامة الهية ، ومتحولين عن الاله الحقيقى الواحد أب المسيح .

٣ — ولكن ليت حماقة هؤلاء البشر الاغبياء وقفت عند هذا الحد ولم يتوغلوا فى إضطراباتهم الوقحة . لانهم تسفلوا فى أفكارهم إلى هذا الحد من ظلام العقل حتى انهم اخترعوا لانفسهم واقاموا آلهة من الاشياء التى لا وجود لها على الاطلاق ولا مكان بين الخليقة . لانهم إذ مزجوا بين الخليقة العاقلة وغير العاقلة ، وجمعوا بين الأشياء غير المتشابهة بطبيعتها ، عبدوا النتائج(١) كآلهة ، مثل آلهة المصريين التى لها رأس كلب أو رأس حية أو رأس حمار ، وعمون إله الليبيين الذى له رأس كبش بينما فصل غيرهم أعضاء جسم الانسان : الرأس والكتف واليد والقدم ، وأقاموا من كل عضو إلهاً وألهوها كأن ديانتهم لم ترتض بأن يبقى الجسم كله سليما .

٤ — أما غيرهم فقد استغرق فى الفساد لأقصى حد فألهوا الباعث على اختراع هذه الاشياء واختراع شرورهم ، أى الملذات

(١) اى هذا المزيج

الشهوات ، وعبدوها ، مثل عيروس (١) ، وافروديت (٢)
فى بافوس . بينما تجاسر بعضهم - كأنهم ينافسونهم فى الرذيلة -
يقيموا آلهة من حكامهم بل من أبنائهم ، إما من باب الاحترام
وسلطانهم ، أو خوفاً من بطشهم ، مثل زفس(٣) الكريتى
الذى له الشهرة العظيمة بينهم ، وهرمس (٤) بين أهل اركاديا
وديونيسوس بين الهنـــود ، وايزيس واوزيريس وهورس
بين المصريين ، وفى عصرنا انتينوس محبوب هادريان امبراطور
الرومانيين ، الذى رغم أن الناس يعرفون انه مجرد انسان ،
وليس انساناً محترماً ، بل بالعكس ملىء بالرذائل والدعارة ،
إلا إنهم يعبدونه خوفاً ممن أوصى بعبادته . لأن هادريان
إذ أتى للاقامة فى أرض مصر عندما مات انتينوس خادم لذاته
وشهواته ، أمر بعبادته ، لأنه افتتن بحب الشاب فعلا حتى بعد
موته . ولكنه رغماً عن ذلك فضح نفسه وقدم برهاناً ضد
كل عبادة وثنية لأنه عُرف بين الناس أن هـــذه العبادة
لم تنشأ إلا بسبب الشهوة التى تملكت على مبتدعيها ، كما شهدت

---

(١) Eros إله الحب عنـــد الاغريق
(٢) Aphrodite الآلهة العشق والجمال عند الاغريق
(٣) Zeus رب الأرباب عند قدماء الاغريق
(٤) Hermes رسول الآلهة ... العلم والتجارة
والسفر واللصوص

بذلك حكمة الله من قبل إذ تقول « أن اختراع الأصنام هو اصل الفسق(١) » .

٥ — ولا تعجب ، بل لا تظن أن ما نقوله صعب التصديق ، إذا ما قررناه إلى عهد قريب - ولو لم تستمر هذه الحالة للآن - كان مجلس الشيوخ فى الامبراطورية الرومانية يصوت للاباطرة الذين حكموهم من البداية ، لكلهم أو لمن يشاءون ويقررون ، ليعطوهم مكاناً بين الالهة ، ويأمرون بعبادتهم(٢) لان الذين كانوا يبغضونهم كانوا يعاملونهم كاعداء ويعتبرونهم بشراً ، معترفين بطبيعتهم الحقيقية . أما الذين كانوا يحبونهم فكانوا يأمرون بعبادتهم بسبب فضائلهم ، كان لهم السلطان أن يقيموا آلهة ، رغم انهم هم أنفسهم بشر ، ولا يمكن أن يدعوا بأنهم أكثر من خليقة فانية .

٦ — مع انهم أن جاز لهم أن يقيموا آلهة لوجب أن يكونوا هم أنفسهم آلهة ، لان الصانع يجب أن يكون أفضل من المصنوعات والحاكم يتحتم بالضرورة ان يكون له سلطان على المحكوم . والمعطى ، أو من له ، الذى يهب فضلا وإحساناً كالملك الذى ،

---

(١) حكمة ١٤ : ١٢

(٢) كان قسطنطين آخر [illegible] باعتباره إلهاً ، بل حتى ثيودوسيوس رفعه كلوديان الى السماء

يهب عما له ، لا شك اعظم واسمى مركزاً من الآخذ . فاذا ما قرروا اعتبار أى شخص شاءوا الهاً وجب أن يكونوا هم أنفسهم أولا آلهة. ولكن الغريب انهم بموتهم هم أنفسهم كبشر يظهرون بطلان آرائهم نحو أولئك الذين يقررون انهم آلهة .

الفصل العاشر

مصدر بشرى مماثل لآلهة اليونان باسم تيسيوس . العملية التي بها تصبح الخليقة الفانية آلهة

١ — على أن هذه العادة ليست حديثة ، كما انها لم تبدأ من مجلس الشيوخ للامبراطورية الرومانية ، بل بالعكس انها سبق أن وجدت منذ القديم ، ومارسها البشر - لاختراع الاصنام - من قبل لأن الآلهة التى اشتهرت منذ القديم بين اليونانيين مثل زفس وبوسيدون وابولو وهيفاستوس وهرمس ، ومن الاناث هيرا وديمتر واثينا وارطاميس ، هذه كلها اتخذت اسم الآلهة بأمر من تيسيوس (١) الذى يحدثنا عنه تاريخ الاغريق وهكذا نرى أن الناس الذين يصدرون أوامر كهذه يموتون كبشر ، ويحزن عليهم ، بينما نرى أن الذين صدرت الاوامر

(١) Theseus

فى مصلحتهم يعبدون كآلهة. فياله من تناقض عظيم وجنون بيّن. لانهم مع علمهم بمن أصدر الاوامر يؤدون اكراماً أعظم لمن صدرت من أجلهم.

٢ — وليت جنون عبادتهم الوثنية وقف عند حد الذكور ولم ينحدروا بلقب الآلهة إلى الاناث . لأنهم يعبدون حتى النساء اللاتى من الخطر تدخلهن فى الشئون العامة ، ويؤدون لهن الاكرام الواجب لله ، كاولئك اللاتى صدر بهن أمر من ثيسيوس كما تقدم ، واللاتى اشتهرن بين المصريين مثل ايزيس والفتاة والأصغر منها (١) ، و بين غيرهم افروديت. أما اسماء غيرهن فلست أظن أنه من اللائق حتى ذكرهن ، لانها مليئة بكل أنواع القبائح .

٣ — لان الكثيرين — ليس فى القديم فقط بل فى أيامنا أيضاً — اذ فقدوا أعزاءهم ، اخوتهم وأقرباءهم وزوجاتهم ، ونساء كثيرات ممن فقدن أزواجهن ، هؤلاء كلهم الذين أثبتت الطبيعة أنهم بشر فانون — أقاموا تماثيل لهم (٢) واخترعوا تقدمات ، وقدسوهم . أما الأجيال اللاحقة فانها إذ افتتنت

---

(١) ويحتمل النص الاصلى [illegible] الاصغر) .

(٢) أى للذين فقدوهم

بمهارة الصانع عبدوهم كآلهة ، وهكذا أصبحوا متناقضين مع الطبيعة . لانه بينما حزن آباؤهم من أجلهم دون اعتبارهم آلهة (لأنهم لو ادركوا انهم آلهة لما حزنوا عليهم كأنهم قد هلكوا . لان السبب فى أقامة تماثيل لهم ليس لأنهم لم يعتبروهم آلهة فحسب بل أنهم لم يعتقدوا فى أن لهم وجوداً على الاطلاق ولكى يتعزوا عن عدم وجودهم بنظرهم فى التماثيل) فان الشعب الاحمق يصلى اليهم كآلهة ويؤدون لهم الاكرام الواجب للاله الحقيقى .

٤ — فمثلا فى مصر لا تزال حتى اليوم مرثاة الموتى توجه لاوزيريس وهورس وتيفو وغيرهم . والقدور(١) فى دودونا والكهنة فى كريت تثبت أن زفس ليس الهاً بل انساناً ، وانساناً ولد من أب آكل لحوم البشر . والغريب انه حتى أفلاطون الحكيم الذى يعجب به الاغريق نراه — رغم افتخاره بمعرفته لله — ينزل مع سقراط الى بيرية لعبادة أرطاميس التى هى بدعة من اختراع الانسان .

---

(١) جمع قدر أى مرجل أو دست

الفصل الحادي عشر

اعمال الآلهة الوثنية سيما اعمال زفس

١ - على أن هذه وأمثالها من اختراعات العبادة الوثنية الجنونية سبق أن حدثنا عنها الكتاب المقدس منذ زمن طويل حين قال (لان اختراع الاصنام هو أصل الفسق. ووجدانها (١) فساد الحياة. وهى لم تكن فى البدء وليست تدوم إلى الأبد. لانها انما دخلت العالم بحب الناس المجد الفارغ ولذلك قد عزم على الغائها عن قريب. وذلك أن والداً قد فجع بشكل معجل فصنع تمثالا لابنه الذى خطف سريعاً وجعل يعبد ذلك الانسان الميت بمنزلة إله ورسم للذين تحت يده شعائر وذبائح. ثم على مر الزمان تأصلت تلك العادة الكفرية فحفظت كشريعة وبأوامر الملوك عبدت المنحوتات. والذين لم يستطع الناس اكرامهم بحضرهم لبعد مقامهم صوروا هيئاتهم الغائبة وجعلوا صورة الملك المكرم نصب العيون حرصاً على تملقه فى الغيبة كأنه حاضر. ثم أن حب الصناع للمباهاة كان داعية للجاهلين إلى المبالغة فى هذه العبادة. فانهم رغبة فى ارضاء الآمر قد

(١) أى ابتداعها

افرغوا وسعهم فى الصناعة لاخراج الصورة على غاية الكمال فاستميل الجمهور ببهجة ذلك المصنوع حتى أن الذى كانوا قبل قليل يكرمونه كأنسان عدوه الهاً . وبهذا كان اقتناص الخلق(١) فان رزيئة بعض الناس أو اقتسار الملوك استعبدهم (٢) حتى جعلوا على الحجر والخشب الاسم الذى لا يشرك فيه أحد(٣))

٢ ـ واذ كانت بداءة وتدبير اختراع الاصنام بهذا الشكل كما يشهد الكتاب المقدس فقد حان الوقت الآن لنظهر لك بطلانها بأدلة مستقاة من آراء نفس هؤلاء الاشخاص عن الاصنام اكثر مما هى مستقاة من الخارج . وللبدء بأسفل نقطة ـ اذا ما تأمل المرء فى اعمال اولئك الذين يسمونهم آلهة ـ فانه لايجد انهم ليسو آلهة فحسب . بل انهم كانوا بشراً واقبح البشر . فيالها من شناعة اذ ترى آثار اهواء زفس السافلة واعماله القبيحة فى الشعراء . يالها من شناعة اذ تسمع عنه من الناحية الواحدة حاملا غنيميد (٤) مرتكباً الفسق اختلاساً ، ومن الناحية الاخرى انه فى هلع وذعر لئلا تسقط اسوار اهل طروادة رغم

---

(١) أى خداع العالم (٢) ترجمة النص الانجليزى " فان الناس اذ خدموا الرزايا أو المظالم جعلوا على الحجر الخ " (٣) حكمة ١٤ : ١٢ ـ ٢١

(٤) Ganymede ـ ساقى الآلهة عند الاغريق

ارادته . يا لها من شناعة اذ تراه حزيناً مكتئباً من أجل موت ابنه سربيدون متمنياً اغاثته وهو عاجز عن الاغاثة ، وعندما تدبر ضده المؤامرات بواسطة الآلهة الاخرى أى أثينا وهيرا وبوسيدون معضداً من امرأة - ثيتيس - وايجيون ذى المائة يد(١) ومنغلباً من الشهوات فيصبح عبداً للنساء ، ولأجلهن يرتكب المخاطر متنكراً فى شكل البهائم والزحافات والطيور . وأيضاً يا لها من شناعة حينما تراه يختبىء بمناسبة مؤامرة أبيه ضده ، أو موثقاً كرونوس ، أو مشوها اباه . أيليق أن يسمى إلهاً ذاك الذى ارتكب أعمالا كهذه ، ويتهم بامور لا تجيزها القوانين الرومانية العادية لمجرد البشر ؟

الفصل الثاني عشر

اعمال مخزية اخرى تنسب لآلهة الوثنيين . وكلها تبرهن على انهم مجرد بشر عاشوا فى الازمنة السابقة ، وليسوا حتى بشراً صالحين .

١ - لانه - مع ذكر القليل من الامثلة الكثيرة منعاً من

---

(١) Aegaeon تسمية اخرى برايروس Briareos وهو عملاق له مائة يد وخمسون رأساً وهو ابن اورانوس Uranus وجايا Gaea (أى السماء والارض).

إطالة الكلام — من ذا الذى رأى سلوكه الفاسد المعيب نحو سميلى وليديا والكمين وأرطميس وليتو ومايا وأوربا ودانى وأنتيوب (١) ، أو رأى ما تجاسر أن يأخذه بيده من جهة أخته بسماحه أن تكون نفس المرأة أختاً وزوجة له ، ولا يحتقره ويحكم بأنه مستحق الموت ؟ لأنه لم يرتكب الزنى فقط بل إنه إله ورفع إلى السماء أولئك الذين ولدوا من فسقه وهو شخصياً ، مدبراً التأليه كستار لمضائحه مثل ديونيسوس وهرقل وديوسقوروس وهرمس وبيرسيوس وسوتيرا (٢)

٢ — ومن ذا الذى يرى تلك الآلهة المزعومة فى نزاع مستمر بينها وبين أنفسها فى طروادة بسبب الاغريق وأهل طروادة دون أن يعترف بضعفها ، لأنها بسبب الغيرة المتبادلة بينها دفعت حتى الخلائق البشرية للاشتباك فى النزاع ؟ ومن ذا الذى يرى أريس وأفروديت (٣) جرحهما ديوميد (٤)

---

(١) Semele, Leda, Alcmene, Artemis, Leto, Maia, Europe, Danae, Antiope

(٢) Dionysus, Heracles, the Dioscuri, Hermes Perseus, Soteira

(٣) Aces Aqhrodites

(٤) Diemed

أو هيرا وايدونيسيوس(١) من تحت الأرض ، ومن يسمونه إلهاً جرحه هرقل ، وديونيسوس جرحه برسيوس (٢) ، وأثينا جرحها اركاس (٣) ، وهيفاستوس (٤) طرح به وصار اعرج دون أن يعترف بطبيعتهم الحقيقية ، وبينما يرفض أن يدعوهم آلهة يتأكد (حينما يسمع انهم قابلون للفناء وسريعو التأثر) انهم ليسوا إلا بشراً ، بل بشراً ضعفاء ، ويعجب بأولئك الذين أحدثوا الجراح دون أن يعجب بالمجروحين ؟

٣ — او من ذا الذى يرى زنى اريس مع افروديت ، وهيفاستوس يدبر فخاً ليكليهما ، والآلهة المزعومة الأخرى يدعوها هيفاستوس لتشهد الزنى فتحضر وتطلع على رذائلهم ، دون أن يضحك ويدرك اخلاقهم السافلة ؟ أو من ذا الذى لا يضحك اذ يشهد حماقة سكر وسوء اخلاق هرقل نحو اومفالى(٥)؟ لان تصرفاتهما الشهوانية ، وهيامهما الخارج عن حدود العقل ، وتماثيلهما الالهية من ذهب وفضة وبرنز وحديد وحجر وخشب ليست فى حاجة أن نفضحها بالحجة طالما كانت الحقائق الواقعة كريهة فى حد ذاتها ، وتكفى وحدها لاثبات الخداع والغش .

---

(١) Aidoneus . Hera (٢) Perseus (٣) Arcas

(٤) Hephaestus (٥) Omphale

ولذلك فان احساس المرء العام هو الاشفاق على اولئك الذين خدعوا بها.

٤ - لانهم اذ يكرهون الزانى الذى يعبث باحدى زوجاتهم لا يخجلون ان يؤلهوا الذين يعلمون الزنى ، واذ يمتنعون عن الفسق بالاهل المحرم الزواج بهن يعبدون الذى يمارسه ، واذ يعترفون بان افساد الأولاد شر فانهم يعبدون الذى يتهم به ، ولا يخجلون من أن ينسبوا لمن يدعونهم آلهة اموراً تمنع القوانين من وجودها حتى بين البشر.

الفصل الثالث عشر

حماقة عبادة التماثيل وتحقيرها من شأن الفن

١ - ثم انهم بعبادتهم أشياء من خشب وحجر لا يرون انهم بينما يطأون باقدامهم ويحرقون ما لا يختلف عنها بأى حال من الأحوال يدعون اجزاء من هذه المواد آلهة . وما كانوا يستعملونه فى خدمتهم منذ وقت وجيز ينقشونه ويعبدونه بحماقتهم ، دون أن يروا أو يفكروا مطلقاً انهم لا يعبدون آلهة بل صنعة الخراط.

٢ - لانه طالما كان الحجر غير منحوت والخشب غير مشغول فانهم يطأون الواحد ويستخدمون الآخر لأغراضهم المختلفة ، حتى فى الأغراض الوضيعة . ولكن حينما يصورها الصانع حسبما يتفق مع مهارته ، ويصوغ المادة فى شكل رجل أو امرأة ، فانهم اذ يشكرون الصانع يشرعون فى عبادتها كآلهة بعد أن يكونوا قد اشتروها من الخراط بثمن . وفضلا عن هذا فان صانع التماثيل كثيراً ما يصلى لمصنوعاته ، كأنه قد نسى العمل الذى أتمه هو نفسه ، ويدعو تلك التى كان يقضبها وينحتها ويخرطها قبل ذلك مباشرة آلهة .

٣ - ولكن كان الأولى - اذا لزم الأمر للاعجاب بهذه الأشياء - الاعجاب بمهارة الصانع الماهر لا تفضيل المصنوعات على الصانع . لأنه ليست المادة هى التى جملت الفن بل أن الفن هو الذى جمل وأله المادة . اذاً فكان أكثر عدلا ان يعبدوا الصانع لا صناعته ، أولا لأن وجوده سابق للآلهة التى برزت بصنعته ، وثانياً لأنها برزت إلى الوجود فى الصورة التى ارادها . أما والحال كما هو ، وقد دعوا العدل جانبا ، وحقروا المهارة والفن ، فانهم يعبدون منتجات المهارة والفن ، وحينما يموت الشخص الذى صنعها ، فانهم يكرمون مصنوعاته كأنها غير فانية

مع انها لو لم تنل منهم عناية يومية لقضى عليها حتماً قضاء طبيعياً مع مرور الوقت .

٤ - أو كيف لا يرثى لهم المرء من هذه الناحية أيضاً إذ يراهم يعبدون ما تعجز عن أن ترى ، ويسمعهم يصلون لما تعجز عن أن تسمع ، ويشهد اناساً مثلهم ولدوا ولهم حياة وعقل ولكنهم يدعون آلهة تلك الأشياء التى لا حركة لها على الاطلاق بل ليست لها الحياة نفسها ، والأغرب من الكل أن التى يحفظونها تحت سلطانهم يخدمونها كأسياد . ولا تتوهم أن هذه مجرد حقائق من عندياتى ، أو اننى أفترى عليهم ، لان تحقيق كل هذا واقع تحت البصر ، وهذه الأمور ترى عياناً لمن أراد .

الفصل الرابع عشر

عبادة التماثيل يشجبها الكتاب المقدس

١ — وأفضل شهادة عن كل هذا يقدمها إلينا الكتاب المقدس الذى سبق أن أنبأنا حينما قال (١) ,, اصنامهم فضة وذهب عمل أيدى الناس . لها أعين ولا تبصر لها أفواه

(١) مز ١١٥ : ٤ — ٨

ولا تتكلم . لها آذان ولا تسمع . لها مناخر ولا تشم . لها أيدى ولا تلمس . لها ارجل ولا تمشى . ولا تنطق بحناجرها . مثلها يكون صانعوها ،، . كما انهم لم ينجوا من توبيخ الأنبياء : فاليك أيضاً دحض تلك العبادة حيثما يقول الروح (١) ،، يخزى الذين صوروا إلهاً وسبكوا أصناماً لغير نفع . وكل الذين صنعوها يخزون . ليجتمع كل الصم بين البشر ويقفوا معاً ليرتعبوا ويخزوا معاً . حدد النجار حديداً وطبعه بالقدوم وبالمطارق صوره ، وصنعه بذراع قوته ، يجوع أيضاً فليس له قوة ، لا يشرب ماء . اختار النجار خشباً ، بجره ، صور بالفراء ، صنعه كشبه رجل كجمال انسان وأقامه فى بيته ، خشب قطعه من الغابة مما غرسه الرب وانماه المطر ليصير للناس للايقاد ، ويأخذ منه ويتدفأ ، يشعل أيضاً ويخبز خبزاً عليه ولكن البقية صنعها آلهة وسجدوا لها ، نصفه أحرقوه بالنار على نصفه شوى لحماً وأكل وشبع وتدفأ وقال . حسن لى لأنى قد تدفأت رأيت ناراً . وبقيته سجد لها ، قائلا : نجنى لأنك أنت إلهى . لم يعرفوا ولا فهموا لأنه قد طمست عيونهم عن الابصار وقلوبهم عن التعقل . ولا يردد فى قلبه وليس له معرفة

(١) اش ٤٤ : ٩ – ٢٠ (الترجمة السبعينية)

ولا فهم انه احرق نصفه بالنار وخبز أيضاً على جمره خبزاً شوى لحماً وأكل. وصنع بقيته رجساً وسجد له. اعرفوا أن قلبهم رماد وأنهم مخدوعون ولا يستطيع أحد أن ينجى نفسه. انظر، الا تقل: فى يمينى كذب »

٢ — اذاً فكيف لا يحكم عليهم من الجميع انهم كفرة اولئك الذين اتهمتهم الكتب الالهية بالالحاد؟ وهل يمكن أن يكونوا إلا تعساء اولئك الذين ثبتت عليهم هكذا جهراً عبادة الأشياء الميتة بدلا من الحق؟ وأى رجاء يكون لهم؟ وأى عذر يلتمس لهم ان كانوا يثقون فى أشياء عديمة العقل أو الحركة يكرمونها بدل الله الحق.

الفصل الخامس عشر

ان التفاصيل التى ذكرت عن الآلهة والتى حلها تصوير الشعراء لها والفنانون تدل على انها عديمة الحياة، وانها ليست آلهة، بل ليست رجالا أو نساء ميتة..

١ — وليت الصانع يصور الآلهة بلا صورة حتى لا تتعرض لمثل هذا الافتضاح الواضح بانها عديمة الحس. لانه كان يجوز أن يخدعوا عقول القوم البسطاء بأنهم عبادتهم للاصنام

حواس لو لم تكن لها رموز الحواس ، كالأعين مثلا والمناخر والآذان والأيدى والفم ، دون اية اشارة للادراك الحسى الفعلى ودون أن تكون واضعة يدها على الامور الحسية. ولكن الواقع أن هذه الحواس كائنة وغير كائنة ، فهى واقفة وغير واقفة ، وجالسة وغير جالسة . لأنها ليست لها الحركة الفعلية لهذه الأشياء ، بل كما أراد صانعها : لذلك فهى تبقى ثابتة ، دون أن تعطى أية علامة للاله ، بل مجرد اشياء عديمة الحياة ، وضعت هنالك بصنعة الانسان .

٢ — وليت سفراء وأنبياء هذه الآلهة الكاذبة ، اقصد الشعراء والكتاب اكتفوا بأن يكتبوا انها آلهة ولم يسجلوا أيضاً أعمالها بما فضحها وأعلن فسادها واختلاط حياتها . لانه كان يجوز بمجرد اسم اللاهوت اخفاء الحق ، أو بالاحرى دفع الكثيرين من البشر للانحراف عن الحق . أما وانهم يروون الكثير عن شهوات زفس وارجاسه ، وافساد الشباب بواسطة الآلهة الاخرى ، وغيرة النساء الشهوانية ، والمخاوف وأعمال الجبن ورذائلهم الاخرى فانهم يثبتون على أنفسهم انهم يروون عن أشياء ليست هى آلهة ، ولا بشر محترمين بل

بالعكس انهم يروون أقاصيص عن اشخاص مخجلين بعيدين عن كل ما يشرف.

الفصل السادس عشر

حجج الوثنيين لتاطيف ما سبق، وقولهم (١) «ان الشعراء مسئولون عن هذه الاقاصيص التي لا تبقى». ولكن هل يمكن التدليل على وجود الآلهة وأسمائها بوسيلة أفضل؟ فاما أن يثبت الاثنان معاً أو يسقطا معاً. إما أن يدافع عن الأعمال أو لا يعترف بالوهية الآلهة. والأبطال لا يمكن تصديقهم ان ادعوا انهم اتوا اعمالا لا تتفق مع طبيعتهم، كما هو الحال مع الآلهة هنا.

١ — أما فيما يتعلق بكل هذا فلعل الملحدين يلجأون إلى اسلوب الشعراء الخاص قائلين أن من خاصية الشعراء ان يتخيلوا ما لا وجود له، وانهم ارضاء لسامعيهم يروون اقاصيص وهمية، وانهم لهذا السبب كتبوا رواياتهم عن الآلهة. ولكن حجتهم هذه تبدو واهية - اكثر من غيرها - من نفس تفكيرهم وادعاءاتهم عن هذه الامور.

٢ — لانه إن كان ما قاله الشعراء خيالياً ولا حقيقة له فكذلك لابد أن تكون التسمية التي اطلقت على زفس وكرونوس وهيرا واريس وغيرها باطلة وأمثالها. وربما

ـ كما يقولون ـ تكون الأسماء نفسها وهمية ، ومع أنه لا وجود لمثل هذه الكائنات أى زفس أو كرونوس أو اريس فان الشعراء يتخيلون وجودها لتضليل سامعيهم . ولكن إن كان الشعراء يتخيلون وجود كائنات غير حقيقية فلماذا يعبدونها كأنها كائنة .

٣ — أو لعلهم أيضاً يقولون انه ان كانت الاسماء غير وهمية فانهم ينسبون إليها أعمالا وهمية . ولكن حتى هذا الدفاع واه كسابقه . لانهم ان كانوا قد لفقوا الاعمال فلا شك فى انهم أيضاً قد لفقوا الاسماء التى نسبوا إليها الأعمال . أما ان كانوا صادقين فى ذكر الاسماء لكانوا بالتالى صادقين فى ذكر الاعمال أيضاً . وعلى الاخص أن الذين قالوا فى أقاصيصهم بأن هذه آلهة يعلمون يقيناً ماذا يجب على الآلهة أن تعمل : فلا يمكنهم أن ينسبوا للآلهة آراء البشر ، كما لا يستطيع أحد أن ينسب للماء خاصيات النار ، لان النار تحرق بينما طبيعة الماء بالعكس باردة .

٤ — إذاً فان كانت الاعمال جديرة بالآلهة وجب أن يكون الذين يعملونها آلهة ، أما إن كانت أعمال بشر ، بشر منحطين ، كالزنى والاعمال السابق ذكرها ، وجب أن يكون

الذين يعملون مثل هذه الاعمال بشراً لا آلهة . لان أعمالهم يجب أن تتفق مع طبيعتهم ، حتى يمكن فى الحال معرفة الفاعل من أعماله ، والتحقق من العمل من طبيعته . فكما انه إذا تحدث المرء عن الماء والنار مبيناً أعمالها لن يقول أن الماء تحرق والماء تبرد ، أو إذا تحدث عن الشمس والأرض فهل يقول أن الأرض تشع نوراً أما الشمس فانها تزرع أعشاباً وثماراً ، وإن قال هذا فانه يفوق أعظم درجات الجنون — كذلك لا يمكن لكتابهم ، وبالاخص لاشهر شعرائهم ، إن كانوا يعلمون حقيقة ان زفس وغيره آلهة ، أن ينسبوا إليهم مثل تلك الاعمال التى تظهر أنها ليست آلهة بل بالحرى بشراً ، بل بشراً غير طاهرين .

٥ — أو ان كانوا كشعراء قد تكلموا كذباً وانتم تطعنون بهم فلماذا لم يتكلموا كذباً أيضاً عن شجاعة الأبطال ، ويدعوا الضعف بدل الشجاعة ، والشجاعة بدل الضعف ؟ لأنه كان يتعين عليهم فى هذه الحالة كما تحدثوا عن زفس وهيرا أن يتهموا أخيل (١) بعدم الشجاعة ، وان يشيدوا بمقدرة ثيرسيت (٢) ، واذ يتهمون اوديسيوس (٣) بالغباوة يعتبرون نسطور (٤) شخصاً

(١) Achilles اسم بطل الياذة هوميروس (٢) Thersites
(٣) Odysseus (٤) Nestor

صفحة
مفقودة

صفحة
مفقودة

عن الطبيعة البشرية ، غير عالمين انهم بمزاعمهم التى تسمو عن الطبيعة البشرية لا يستطعون أن يسدلوا الستار على تصرفاتهم البشرية ، ولكنهم بالحرى ينجحون فى اظهار هذه الحقيقة وهى أن صفات الله غير خليقة بهم وذلك بسبب تقصيراتهم البشرية

٣ — وانى اميل الى الاعتقاد بانهم ذكروا تصرفات هذه الآلهة وعواطفها الشهوانية مرغمين . إذ طالما انهم كانوا يسعون أن ينسبوا ما يسميه الكتاب المقدس « الاسم الذى لا يشرك فيه أحد » وكرامة الله(١) لمن ليسوا هم آلهة بل بشر فانون ، وطالما كانت هذه الجرأة منهم بالغة ووقحة ، لاجل هذا السبب اضطرهم الحق - رغم ارادتهم - أن يذكروا العواطف الشهوانية عن هؤلاء الاشخاص لكى تبقى هذه العواطف الشهوانية التى سجلت كتابة عنهم دليلا لكل الانسان على أنهم لم يكونوا آلهة

الفصل الثامن عشر

تكملة دفاع الوثنيين (٢) « ان الآلهة تعبد لاختراعها فنون الحياة » . ولكن هذه أعمال بشرية طبيعية لا إلهية . وتمشياً مع هذه القاعدة لماذا لا يؤله كل المخترعين .

١ — اذن فاى دفاع أو برهان على أن هؤلاء آلهة حقيقية

---

١ حكمة ١٤:٢١ . انظر أيضا اش ٤٢:٨ ، ٤٨:١١ .

يمكن أن يقدمه أولئك الذين ينادون بهذه الترهات ؟ لانه مما تقدم قد برهنت حججنا على انهم بشر ، بشر غير محترمين . ولكن لعلهم يتذرعون بحجة أخرى فيلجأون بكبرياء إلى الأشياء النافعة للحياة التى اكتشفوها ، قائلين أن السبب فى انهم يعتبرونهم آلهة انهم كانوا نافعين للبشرية . لأن زفس يقال عنه أنه صاحب الفن التشكيلي (١) ، وبوسيدون (٢) صاحب فن الملاحة ، وهيفاستوس (٣) فن صناعة المعادن ، وأثينا فن النسيج ، وابولو فن الموسيقى ، وارطاميس فن الصيد ، وهيرا صناعة الملابس ، وديمتر (٤) الزراعة ، وغيرهم فنون أخرى ، كما روى الذين حدثونا عنهم

٢ — ولكن ينبغى للبشر أن ينسبوا هذه الفنون وأمثالها لا للآلهة وحـــدها بل للطبيعة البشرية العادية ، لأن البشر يخترعون الفنون بملاحظة الطبيعة . فان نفس الحديث العادى يدعو الفنون تقليداً للطبيعة . إذن ان كانوا قد برعوا فى الفنون التى تتبعوها فهذا لا يبرر الاعتقاد بانهم آلهة ، بل بالحرى هذا يبرر الاعتقاد بانهم بشر ، لانهم لم يخلقوا الفنون، ولكنهم بها قلدوا الطبيعة كغيرهم .

(١) النحت والتصوير (٢) Poseidon (٣) Hephaestus (٤) Demeter

٣ ـ لأن البشر اذ لديهم مقدرة طبيعية على المعرفة طبقاً للوصف الذى وصفوا به(١) فليس هنالك مايدهشنا أن توصلوا إلى الفنون بذكائهم البشرى وبتطلعهم إلى طبيعتهم ومعرفتها . أما اذا قالوا بان اختراع الفنون يخولهم الحق أن ينادى بهم آلهة فقد حان الوقت للمناداة بمخترعى الفنون الاخرى آلهة ، على نفس الاساس الذى بموجبه ظن أن السابقين جديرون بمثل هذا اللقب . فالفينيقيون اخترعوا الحروف ، وهومر الشعر القصصى وزينون الذى من بلدة اليا (٢) علم المنطق ، وكوراكس السراقوسى (٣) علم البلاغة ، وارسطوس (٤) علم تربية النحل ، وتربتوليموس (٥) زراعـة الحنطة ، وليكورجو الاسبارطى (٦) وسولون الاثينى التشريع ، بينما اكتشف بالاميدس (٧) تصفيف الحروف والارقام والمقاييس والاوزان . واكتشف غيرهم أشياء كثيرة أخرى نافعة الحياة البشرية حسب شهادة مؤرخينا .

٤ ـ اذن فان كانت الفنون تخلق آلهة ، وأن كانت الآلهة

---

(١) بواسطة ارسطاطاليس (٢) Elea بلدة جنوب ايطاليا وكانت بها مدرسة للفلسفة اليونانية (٣) Corax of syracuse (٤) Aristaeus (٥) Triptolemus (٦) Lycurgus of Sparta & Solon of Athens (٧) Palesamed

المنقوشة وجدت بسبب الفنون ، لترتيب على هذا ـ طبقاً لمنطقهم ـ أن الذين اكتشفوا الفنون الأخرى فى الأيام الاخيرة لا بد أن يكونوا آلهة . أما اذا حكموا بان هؤلاء غير خليقين بالكرامة الالهية بل اعتبروهم بشراً لكان من اللائق أن لا يطلق اسم الآلهة على زفس وهيرا وغيرهما ، بل وجب الاعتقاد انهم هم أيضاً كانوا كائنات بشرية ، سيما وانهم لم يكونوا محترمين فى أيامهم . وليس أدل على هذا من انهم عند ما يصورون أشكالهم فى التماثيل يظهرون بانهم ليسوا الا بشراً .

الفصل التاسع عشر

تناقض عبادة التماثيل — الحجج التى يقدمونها تبريراً لموقفهم (١) ان الطبيعة الالهية يجب اظهارها فى عـــلامات منظورة (٢) أن التمثال واسطة الاتصالات (السامية فوق البشر) للانسان بواسطة الملائكة

١ — لان أية صورة أخرى يعطونها لهم فى النحت سوى صورة الرجال والنساء ، والمخلوقات الادنى غير العاقلة ، وكل أنواع الطيور ، والوحوش الأليفة والبرية ، والزحافات ، وكل ما تخرجه الأرض والبحر وكل ... البشر

إذ سقطوا فى جنون شهواتهم وملذاتهم ، وعجزوا عن أن يرو شيئاً أخر سوى ملذات الجسد وشهواته نظراً لتركيز عقلهم فى هذه الاشياء غير العاقلة ، فانهم توهموا المبدأ الالهى فى الاشياء غير العاقلة ، ونقشوا آلهة كثيرة لتطابق شهواتهم المتعددة .

٢ — لأنه توجد بينهم تماثيل للوحوش والزحافات والطيور كما يقول مفسر الديانة الالهية الحقيقية . حمقوا فى أفكارهم . واظلم قلبهم الغبى . وبينما هم يزعمون انهم حكماء صاروا جهلاء وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الانسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات . لذلك أسلمهم الله إلى إهواء الهوان» . لأنهم إذ سبقوا فدنسوا روحهم بجنون الملذات كما ذكرت آنفاً انحدروا إلى اختراع الآلهة هذا ، وإذ سقطوا انغمسوا فيها من ذلك الوقت فصاعداً كأنهم قد تركوا فى رفضهم لله ، وبدأوا يصورون الله ، أب الكلمة ، فى أشكال غير عاقلة .

٣ — أما الذين يحسبون فلاسفة ورجال معرفة بين الاغريق فبينما أضطروا للاعتراف بأن آلهتهم الظاهرة هى أشكال

ور سوم البشر والأشياء غير العاقلة ، تراهم يقولون ـ دفاعاً عن هذا ـ بأنهم صوروا هذه لكي يجيبهم اللاهوت بواسطتها ويكون ظاهراً . لأنهم بغير هذا لا يستطيعون معرفة الله غير المنظور سوى بمثل هذه التماثيل والشكليات .

٤ ـ وأما الذين يدّعون بانهم يقدمون أسباباً أعمق وأكثر فلسفة من هؤلاء فانهم يقولون ان السبب فى تهيئة الاصنام وتصويرها هو لاستدعاء واظهار الملائكة والقوات الالهية ، حتى إذا ما ظهروا بهذه الوسائل امكنهم تعليم البشر عن معرفة الله ، وحتى يصبحوا كرسائل كتابية للبشر بالرجوع إلى ما يمكن أن يتعلموه ليدركوا الله من إظهار الملائكة الالهية بواسطتها . إذن فهذه هى أساطيرهم (١) ، لأنه حاشا لنا أن ندعوها علم اللاهوت . ولكن إذا ما فحص المرء الحجج بدقة وجد أن آراء هؤلاء البشر أيضاً لا تقل بطلا وضلالا عن آراء أولئك السابق التحدث عنهم .

---

(١) أو خرافاتهم Mythology

الفصل العشرون

ولكن أين توجد هـــذه الفضيلة المزعومة للتماثيل ؟ هل فى المادة ، أو فى الصورة ، أو فى مهارة الصانع ؟ عدم امكان الدفاع عن كل هذه الآراء

١ — لأن المرء يمكن الرد عليهم — مقدماً الدعوى أمام محكمة الحق — قائلا : كيف يجيب الله بمثل هذه الأشياء أو يصبح معروفاً بواسطتها ؟ أيعزى ذلك للمادة التى صنع منها ، أو للصورة التى صور عليها ؟ لأنه إن كان يعزى للمادة فما هو الداعى للصورة بدلا من أن يظهر الله ذاته فى كل أنواع المـــادة بلا استثناء قبل أن تصور هذه الأشياء ؟ وعبثاً قد بنوا هيا كلهم ليحبسوا قطعة واحدة من الحجر أو الخشب أو الذهب طالمــا كان كل العالم مليئاً بهذه المواد

٢ — واما إن كانت الصورة هى السبب للظهور الالهى فمــا هو الداعى للمادة ـ الذهب وسواه ـ بدلا من أن يظهر الله ذاته فى الحيوانات الفعلية الطبيعية التى ترمز اليها التماثيل ؟ لأن فكرتهم عن الله كان ممكناً ـ بنفس القاعدة ـ أن تكون أنبل وأسمى لو أنه أظهر ذاته بواسطة الحيوانات الحية ، عاقلة أو غير عاقلة ، بدلا من التطلع اليه فى أشياء عديمة الحياة والحركة

٣ — وهم بهذا يرتكبون أشر أنواع الرذائل الظاهرة عند أنفسهم . لانهم وهم يبغضون وينفرون من الحيوانات الحقيقية والوحوش والطيور والزحافات ، إما بسبب شراستها أو بسبب قذارتها ، فانهم ينقشون صورها على الحجر أو الخشب أو الذهب ويدعونها آلهة . ولكن كان خيراً لهم أن يعبدوا الكائنات الحية نفسها بدلا من عبادة صورها فى حجارة

٤ — ولكن كلا الحالتين ادعاء باطل ، فلا المادة ولا الصوره هى السبب فى الحلول الالهى ، ولكن هى براعة الفن التى تستدعى اللاهوت نظراً لان الفن هو تقليد الطبيعة. ولكن ان كان اللاهوت يتصل بالتماثيل بسبب الفن فما الداعى ايضاً لمادة طالما كان الفن مستقراً فى البشر ؟ لانه ان كان الله يعلن ذاته بسبب الفن فقط ، وان كانت التماثيل تعبد كالهة لهذا السبب ، لكان من الصواب عبادة وخدمة الانسان الذى هو سيد الفن ، لانه عاقل ايضاً وفيه الذكاء .

الفصل الحادي والعشرون

وفكرة الاتصال عن طريق الملائكة تجر متناقضات أشد ، كما انها — على فرض صحتها — لا تبرر عبادة التماثيل .

١ — أما عن دفاعهم الثانى الذى يقولون انه أقوى فيمكن

للمرء أضافة الآتى صواباً . ان كانت هذه الأشياء صنعت بواسطتكم أيها الأغريق ، لا من أجل أظهار الله لنفسه بل من أجل حضور الملائكة فيها فلماذا تعتبرون التماثيل التى بها تستدعون القوات كأنها أسمى وأرفع شأناً من القوات المستحضرة ؟ لأنكم تنقشون الصور لاجل ادراك الله كما تقولون ولكنكم تنسبون للتماثيل الفعلية كرامة الله ولقبه ، وبذلك تضعون انفسكم وضعاً مزرياً .

٢ ـ لانكم بينما تعترفون بان قوة الله تفوق صغر التماثيل وحقارتها ، ولاجل هذا لا تتجاسرون على استدعاء الله بواسطتها ، بل القوات الأقل فقط ، فانكم انتم انفسكم تخطيتم هذه الاخيرة ، وخلعتم على الحجارة والخشب اسم ذاك الذى فزعتم من حضرته ، ودعوتموها آلهة بدلا من الحجارة وصنعة البشر ، وعبدتموها . وعلى فرض انها خدمتكم ـ كما تدعون كذباً ـ كرسائل كتابية للتأمل فى الله ، فليس من الصواب ان تعطوا الرموز كرامة أكثر من المرموز إليه . لأنه إذا أراد انسان كتابة اسم الامبراطور فانه ان أعطى للأسم كرامة أكثر مما للامبراطور عرض نفسه للخطر . بل بالعكس ان انساناً كهذا يستحق عقوبة الموت . مع أن الكتابة تمت بمهارة الكاتب .

٣ — هكذا انتم أيضاً لو كانت لكم قوة العقل والتمييز كاملة لما حقرتم من شأن هذا الأعلان العظيم عن اللاهوت ونسبتموه للمادة، بل لما اعطيتم التمثال كرامة أعظم من الانسان الذى نحته. لأنه لو كان هنالك أى ظل للحقيقة فى هذه الحجة وهى أنها كرسائل كتابية تدل على ظهور الله ولذلك فهى كأشارات لله خليقة بان تؤله، لكان حرياً جداً أن يؤله الصانع الذى نحتها وصورها لأنه أقوى منها جداً وأكثر الوهية، لأنها قطعت وصورت حسب ارادته. إذن فان كانت الرسائل الكتابية تستحق الأعجاب لاستحق الكاتب اعجاباً أشد بسبب فنه وذكاء عقله. وان كان لا يليق الأعتقاد بانها آلهة لهذا السبب وجب على المرء أن يسألهم عن جنونهم بصدد الأصنام، طالباً منهم أن يبرروا كونها على مثل هذه الصورة.

الفصل الثانى والعشرون

والتمثال لا يمكن أن يمثل صورة الله الحقيقية، والا كان الله قابلا للفساد

١ — وان كان سبب تصويرها بهذا الشكل هو ان للاهوت صورة بشرية فلماذا يعطونها ايضاً صورة المخلوقات غير العاقلة؟ أو أن كانت صورته هى صورة الأخيرة فلماذا يصورونه أيضاً على

مثال المخلوقات العاقلة ؟ او ان كانت صورة الاثنين معاً فى وقت واحد ويظنون ان الله على صورة الاثنين مجتمعين ، اى انه على صورة المخلوقات العاقلة وغير العاقلة ، فلماذا يفرقون ما اجتمع ، ويفصلون تماثيل البهائم عن تماثيل الناس ، بدلا من تصويرها دائماً من كلا النوعين ، كالصور الخيالية فى الاساطير الخرافية ، مثل سكيلا (١) وكربديس (٢) والقنطروس (٣) وانوبيس (٤) المصريين الذى له رأس الكلب ؟ لانه كان يجب إما ان يمثلوها فقط من طبيعتين بهذه الكيفية ، أو إن كانت لها صورة واحدة فكان ينبغى أن لا يمثلوها فى الصورة الاخرى فى نفس الوقت .

٣ — وأيضاً ان كانت لها صورة الذكور فلماذا يصورونها فى صورة الاناث كذلك ؟ او أن كانت لها الصورة الاخيرة فلماذا يصورونها تصويراً كاذباً كأنها ذكور ؟ او كان مزيجاً من الاثنين فكان يجب عدم تفرقتهما ، بل اتحادهما معاً ، مقتفين آثار ما يسمونه خنثوى (٥) ، حتى تقدم خرافاتهم

---

(١) Scylla حيوان له خمسة رؤوس (٢) Charybdis حيوان له خمسة رؤوس (٣) Hippocentaur حيوان خرافى له جسم حصان ورأس انسان (٤) Anubis اله من الهة المصريين له رأس كلب وكانوا يزعمون انه حارس القبور ومرشد الموتى (٥) Hermaphrodites اى ذكر وانثى فى واحد

للناظرين لا منظراً مليئاً بالخلاعة والفجور فحسب بل أيضاً سخيفاً ومضحكا .

٣ — وبصفة عامة ان كانوا يظنون أن للاهوت جسداً ولذلك فانهم يجتهدون بان يصوروا له البطن واليدين والقدمين والعنق أيضاً والثدى وسائر الاعضاء التى يتكون منها الانسان، ناظر لأى حد من الوقاحة والفجور تسفل عقلهم ، حتى تكون لهم مثل هذه الآراء عن اللاهوت . لأنه ينتج من هذا أنها لا بد أن تكون عرضة لكل الاعراض الجسدية الاخرى ، القطع والفصل ، بل للفناء كلية . ولكن هذه وأمثالها ليست من خاصيات الله ، بل بالحرى من خاصيات الأجساد الأرضية .

٤ — لأنه فى الوقت الذى نرى فيه الله غير جسدى او هيولى) وغير قابل للفساد أو الفناء ، ولا يحتاج لأى شيء لاى غرض ، نرى هذه قابلة للفساد كما نراها صوراً لاجساد ، تحتاج للخدمات الجسدية كما قلنا سابقاً(١) . لاننا كثيراً ما رأينا تماثيل عتقت فجددت ، وتلك التى عبثت بها يد الزمن أو الامطار أو بعض حيوانات الارض أو غيرها قد أعيدت اليها صورتها . لهذا السبب لا يسع المرء الا أن يحكم بحماقتهم لانهم

---

(١) انظر فصل ١٣ : ٣

ينادون بهذه الاشياء - التى يصنعونها هم انفسهم - آلهة ، ولانهم هم أنفسهم يطلبون الخلاص من تلك الاشياء التى يخلعون عليها فنونهم لحفظها من الفساد ، ولانهم يتوسلون أن تقضى حاجاتهم من كائنات يعلمون هم انفسهم علم اليقين انها فى حاجة لرعايتهم ولانهم لا يخجلون ان يدعوا تلك الكائنات التى يغلقون عليها غرفاً صغيرة ارباب السماء وكل الارض.

الفصل الثالث والعشرون

ان تنوع العبادات الوثنية يبرهن على بطلانها

١ — على أن المرء لا يحكم بالخادم لهذه الاعتبارات فحسب بل أيضاً من آرائهم المتناقضة عن الأصنام نفسها . لأنها إن كانت آلهة - حسب آرائهم وتأكيداتهم - فلمن منها يقدم المرء الولاء ، ومن منها يحكم الانسان بانه هو الاسمى ، حتى يعبد الله باطمئنان ، أو لكى يدركوا اللاهوت بواسطتها - كما يقولون - بدون غموض أو التباس ؟ فليست نفس الكائنات تدعى آلهة بين الجميع ، بل بالعكس ، ان لكل أمة تقريباً إله خاص . وهنالك حالات نرى فيها المقاطعة الواحدة أو المدينة

الواحدة فى تناقض داخلى بصدد خرافاتهم الخاصة باصنامهم .

٢ — فالفينيقيون مثلا لا يعرفون تلك التى تسمى آلهة بين المصريين ، ولا المصريون يعبدون نفس اصنام الفينيقيين . وبينما يرفض السكيثيون آلهة الفرس ، فان الفرس يرفضون آلهة السوريين . على أن البيلاسجيين(١) يرفضون آلهة تريس(٢) ، وأهل تريس لا يعرفون آلهة طيبة . وعلاوة على ذلك فالهنود يختلفون عن العرب بصدد اصنامهم ، والعرب عن الاثيوبيين ، والاثيوبيون عن العرب . والسوريون لا يعبدون أصنام السكيليكيين ، بينما الامة السكبدوكية تقيم آلهة من كائنات مخالفة لهذه . وبينما اتبع البيثينيون آلهة أخرى ابتدع الارمن آلهة اخرى أيضاً . وما الداعى لكى اعدد الامثلة ؟ فأهل القارة يعبدون آلهة خلاف التى يعبدها أهل الجزيرة ، بينما يعبد هؤلاء الاخيرون آلهة سوى التى يعبدها أهل الاراضى الأصلية .

٣ — وعلى العموم أن كل مدينة وقرية تفضل آلهتها —

---

(١) Pelasgians شعب قديم سكن شواطىء وجزائر شرق البحر الأبيض وبحر اليونان .

(٢) Thrace منطقة قديمة فى الشمال الشرقى من مكدونية

متجاهلة آلهة جيرانها ـ وتحكم بأن هذه وحدها هي الآلهة . أما عن المكرهات التي في مصر فلا داعي حتى للتحدث عنها ، لانها ماثلة أمام أعين الجميع . فانك ترى كيف ان للمدن ديانات مضادة ومناقضة بعضها للبعض ، ويسعى الجيران دواماً لعبادة آلهة ضد القريبين منهم (١) ، لدرجة أن التمساح الذي يعبده البعض يعتبره جيرانهم مرذولا ، والأسد الذي يعبده الآخرون كاله لا يمتنع جيرانهم عن عبادته فحسب بل أيضاً يقتلونه ـ أن وجدوه ـ كوحش مفترس ، والسمك الذي يقدسه بعض الشعوب يستعمل كطعام في مكان آخر . وهكذا تقوم الحروب والفتن والفرص المتعددة لسفك الدم وكل الانغماسات الشهوانية بينهم .

٤ — والغريب جداً ـ حسب رواية المؤرخين ـ أن البيلاسجيين الذين تعلموا من المصريين اسماء الآلهة لا يعرفون آلهة مصر ، بل يعبدون غيرها عوضاً عنها . وبصفة عامة أن لكل الشعوب التي افتتنت بالاصنام آراء مختلفة وديانات مغايرة ، ولا توجد ملاءمة في حالة واحدة . وليس هذا بالامر العجيب .

---

(١) هيرودتس ٢ :

٥ — لانهم إذ انحرفوا عن التأمل فى الاله الواحد انحدروا إلى امور عديدة ومتنوعة ، وإذ تحولوا عن كلمة لآب ، المسيح مخلص الكل ، تشعب ذهنهم بطبيعة الحال فى جهات متعددة . وكما أن الناس إذا ما تحولوا عن الشمس وذهبوا إلى امكنة مظلمة داروا وهاموا على وجوههم فى طرق وعرة دون أن يروا الأشخاص الموجودين ، وفى الوقت نفسه يتخيلون وجود من ليس لهم وجود ، فيصبحون وهم مبصرين لا يبصرون ، كذلك أيضاً اولئك الذين تحولوا عن الله ، واظلمت نفوسهم ، قد اصبحت عقولهم هائمة حائرة ، يتخيلون ما ليس حقيقياً كقوم سكارى لا يستطيعون أن يبصروا .

الفصل الرابع والعشرون

والتى تدعى آلهة فى مكان ما تستعمل كذبائح فى مكان آخر

١ — اذن فليس هذا برهاناً يسيراً على الحادهم الحقيقى لان آلهة كل مدينة ومملكة اذ تعددت جداً ، واصبح كل واحد يحاول ابادة إله الآخر ، أصبح الجميع يحاولون إبادة جميعها لان تلك التى يعتبرها البعض آلهة تقدم ذبائح وتقدمات للشرب

للآلهة المزعومة عند الآخرين ، وتلك التى تعتبر ذبائح عند البعض يعتبرها الآخرون بالعكس آلهة . فالمصريون يعبدون الثور ، والعجل ابيس ، وغيرهم يقدمون هذه البهائم ذبائح لزفس . وحتى اذا لم يقدموا نفس البهائم - التى قدسها الآخرون - كذبائح ، فانهم اذ يذبحون نظائرها يبدو انهم قدموها هى بعينها . والليبيون يؤلهون كبشاً ويدعونه امون ، وفى الامم الاخرى يذبح هذا الحيوان كذبيحة لآلهة كثيرة .

٢ - والهنود يعبدون ديونيسوس ، مستعملين الاسم رمزاً للخمر ، والآخرون يسكبون الخمر كتقدمة للالهة الاخرى . وغيرهم يكرمون الانهار والينابيع ، والمصريون فوق الكل يؤدون احتراما خاصاً للمياه ويدعونها الهة ومع ذلك فالاخرون حتى المصريون أنفسهم الذين يعبدون المياه، يستخدمونها لغسل الاقذار من غيرهم ومن انفسهم ، وبطريقة مخزية يطوحون ما استعملوه . وتكاد تنحصر كل اصنام المصريين فيما يقدم كذبائح لالهة الامم الاخرى ، ولذلك يهزأ بهم من الاخرين ، لانهم يؤلهون تلك التى ليست آلهة بل هى ذبائح كفارية وتضحيات لدى الاخرين بل لديهم هم انفسهم .

الفصل الخامس والعشرون

الذبائح البشرية . سخافتها . كثرتها . نتائجها الوخيمة

١ — على أن البعض قد انحدروا فى هذه الايام إلى هوة سحيقة من الضلال والحماقة فاصبحوا يذبحون حتى الرجال يقدمونهم ذبائح لآلهتهم الكاذبة ، رغم انها على شكل وصورة رجال . ولم ير هؤلاء التعساء أن الضحايا التى يذبحونها هى نفس صورة الآلهة التى يصنعونها ويعبدونها والتى يقدمون اليها الرجال . ويمكن القول أنهم يقدمون النظائر للنظائر ، أو بالحرى الاعلى للادنى . لانهم يقدمون مخلوقات حية لمخلوقات ميتة ، وكائنات عاقلة لأشياء عديمة الحركة

٢ — لان السكيثيين ، الذين يدعون التوريين(١) يقدمون كذبائح لعذرائهم — كما يسمونها — أولئك الذين نجوا من السفن التى تحطمت ، أى الاغريق الذين يلقون القبض عليهم ، وبهذا يمعنون فى القسوة والفساد ضد أناس من جنسهم ، ويفضحون وحشية آلهتهم ، لان أولئك الذين أنقذتهم

(١) Taurians قسم من السكيثيين وكانوا يعيشون فى شبه جزيرة القرم بجنوب روسيا ولاتزال ... Tauride ...

العناية الالهية من الخطر ومن البحر يقتلونهم هم ، مقاومين العناية الالهية ، لانهم يبطلون أعمال رحمة العناية الالهية باخلاقهم الوحشية أما الآخرون فانهم عندما يعودون من الحرب ظافرين يقسمون أسراهم إلى مئات ، ويأخذون رجلا من كل مائة ويذبحون لاريس الرجل الذى اختاروه من كل مائة

٣ـ على أنه ليس السكيثيون وحدهم هم الذين يرتكبون هذه الفظائع بسبب الوحشية الطبيعية فيهم كمتوحشين ، بل بالعكس أن هذا العمل نتيجة لازمة للشر الذى يتصل بالاصنام والآلهة الكاذبة . لان المصريين كانوا معتادين سابقاً أن يقدموا ذبائح من هـــذا القبيل إلى هيرا ، والفينيقيون والكريتيون كانوا معتادين أن يترضوا وجه كرونوس (١) بذبح أطفالهم وحتى قدماء الرومانيين اعتادوا عبادة المشترى لاتياريوس (٢) ـ كما كانوا يدعونه ـ بتقديم ذبائح بشرية ، البعض باحدى الطرق ، وغيرهم بطريقة أخرى ، ولكن الكل بلا استثناء ارتكبوا الرجاسات ودنسوا أنفسهم ، فدنسوا أنفسهم بارتكاب أعمال القتل ، ونجسوا هياكلهم إذ ملأوها بدخان مثل تلك الذبائح .

---

(١) Cronos من اسمى آلهتهم وكان لا يفضله سوى زفس

(٢) Jupiter Latius الاله الذى كان [illegible] حامياً للتحالف اللاتينى الذى كان مكوناً من ثلاثين مدينة لاتينية

٤ — اذن فقد كان هذا مصدر الشرور المتعددة للبشرية. لانهم اذ رأوا أن آلهتهم الكاذبة سرت بهذه الامور بدأوا يقلدون آلهتهم بنفس الاعمال السيئة، ظانين ان تقليد الكائنات السامية — كما كانوا يعتبرونها — فخر لهم. من ثم بدأت البشرية يتضاءل عددها بقتل الرجال البالغين والاولاد، وباعطاء التصريح لارتكاب كل الانواع. الان كل مدينة تقريبا مليئة بكل أنواع الفجور نتيجة طباع آلهتها الوحشية؛ كما انه لا يوجد واحد ذو حياة وقورة فى هياكل الاصنام سوى ما شهد الجميع بفجوره(١)

الفصل السادس والعشرون

ان الفساد الادبى بين الوثنيين ناشىء عن الآلهة حسب اعتراف الجميع

١ — فالنساء مثلا اعتدن الجلوس فى الايام القديمة فى هياكل فينيقية مكرسات لآلهتها اجرة اجسادهن، متوهمات انهن ترضين آلهتهن بالزنى، وانهن بذلك حصلن على رضائها.

---

(١) اى ان التمثال عديم الحياة هو الوحيد بين المصلين الفاجرين الخالى من الرذيلة، رغم ان المصلين ينسبون اليه صفات الهية وبالتالى ينسبون اليه حياة داعرة حسب خزعبلاتهم

أما الرجال فقد انكروا طبيعتهم ، ولم يقبلوا أن يظلوا ذكوراً بعد ، بل تخفوا فى شكل النساء ، اعتقاداً منهم انهم بهذا يرضون ويكرمون ام آلهتهم المزعومة . على ان الجميع يعيشون حياة متسفلة ، بل يتنافسون فى اقذر الموبقات ، وكما قال بولس ، خادم المسيح المبارك(١) « لان اناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعى بالذى على خلاف الطبيعة . وكذلك الذكور أيضاً تاركين استعمال الانثى الطبيعى اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور »

٢ — ولكنهم اذ يتصرفون بهذه الكيفية وامثالها يعترفون ضمناً ويبرهنون على أن حياة آلهتهم المزعومة هى على هذا المثال. لانهم تعلموا من زفس افساد الشباب والزنى ، ومن افروديت الدعارة ، ومن ريا(٢) الفجور ، ومن اريس القتل ، ومن آلهة أخرى اموراً مماثلة اخرى تعاقب عليها القوانين ، وينفر منها كل رجل عفيف . ايليق تسمية من يرتكب مثل هذه آلهة بدلا من اعتبارها أشد بهيمية من البهائم بسبب دعارة طرقها ؟

---

(١) رو ١ : ٢٦ و ٢٧
(٢) Rhea ام الآلهة واخت اورانيوس وزوجة كرونوس

أيليق إعتبار عابديها كائنات بشرية بدلا من الرثاء لهم لانهم عديمو العقل أكثر من البهائم وعديمو الروح أكثر من الأشياء عديمة الحياة ؟ لانهم لو اعتبروا الناحية العقلية فى نفوسهم لما انغمسوا فى هذه الاشياء بمثل هذه الرعونة ، ولما أنكروا الاله الحقيقى ، أب المسيح .

الفصل السابع والعشرون

وإذ وصلنا إلى هذه النتيجة الحاسمة وهى دحض العبادة الوثنية الشعبية ، نتقدم الآن إلى النوع الارقى أى عبادة الطبيعة . كيف تشهد الطبيعة لله باعتماد كل اجزائها بعضها على بعض ، الأمر الذى يمنعنا من ان نعتقد فى أى واحد منها انه هو الاله العلى . توضيح هذا أخيراً .

١ — ولـكن لعل أولئك الذين تخطوا حدود هذه الاشياء ، والذين يقفون منزعجين أمام الخليقة ، يشتركون فى التبرؤ مما صار دحضه وشجبه على كل الوجوه ، إذ قد اخجلوا بالـكشف عن هذه الرذائل ، ولـكنهم فى نفس الوقت يظنون انهم على أساس متين فى اعتقادهم الذى لا يناقش ، أى فى عبادة الـكون وأجزاء الـكون .

٢ — لانهم قد يفتخرون أنهم يعبدون لا مجرد اخشاب

وحجارة وأشكال البشر والطيور والزحافات والبهائم غير العاقلة، بل الشمس والقمر وكل الكون السماوى، والارض أيضاً، وكل دائرة المياه. وقد يقولون انه لا يستطيع أحد أن يبين بأى حال ان هذه ليست ذات طبيعة الهية طالما كان واضحاً للجميع انه لا ينقصها الحياة أو العقل، بل تفوق حتى طبيعة البشر، لأن الواحد يسكن السماء، والاخر يسكن الارض.

٣ — إذن فخليق بنا أن نتأمل فى هذه النقط أيضاً ونفحصها لان بحثنا هنا أيضاً سوف يبين أن براهينا ضدها حقيقية. ولكن قبل البدء بأدلتنا أو النظر فيها يكفى القول أن الخليقة ترفع صوتها ضدهم مشيرة إلى الله كخالقها وبارئها، الذى يسيطر على الخليقة وكل الاشياء، والذى هو اب ربنا يسوع المسيح، الذى يتحول عنه الفلاسفة المدّعون ليعبدوا ويؤلهوا الخليقة المبدعة منه، والتى هى نفسها مع ذلك تعبد الرب الذى ينكرونه هم بسببها، وتعترف به.

٤ — لانه اذا كان الناس يقفون هكذا مندهلين أمام أجزاء الخليقة، متوهمين انها آلهة، فانه يمكن توبيخهم باعتماد هذه الاجزاء بعضها على بعض، وانها فضلا عن هذا تظهر أب الكلمة (الذى هو رب وصانع هذه الاجزاء أيضاً) وتشهد له بناموس

طاعتها له الذى لا ينقض ، كما يقول الناموس الالهى أيضاً (السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه(١)).

٥ — على أن البرهان على كل هذا ليس غامضاً ، بل واضح كل الوضوح للذين لم تنطمس بصيرتهم انطماساً تاماً . لأنه إذا أخذ المرء أجزاء الخليقة منفصلة ، وتأمل فى كل منها على حدة ، كالشمس مثلا على حدة ، والقمر على حدة ، وأيضا الأرض والهواء ، والحرارة والبرودة ، وعناصر الرطوبة والجفاف ، وفصلها عن ارتباطها المتبادل ، فانه يجد حتما انه لا يمكن أن يكون أحدها كافيا لنفسه ، بل كل منها فى حاجة لمساعدة الآخر ، وانها تحتفظ بكيانها بمساعداتها المتبادلة . فالشمس تسير فى كل دائرة السماء ولن تتعدى فلكها ، والقمر وسائر النجوم تشهد للمساعدة التى تستمدها من الشمس . وظاهر أن الأرض أيضا لا تعطى محصولها بدون الامطار ، وهذه بدورها لا تهطل على الارض بدون مساعدة السحب . والسحب لا يمكن أن تظهر من تلقاء ذاتها وتوجد بدون الهواء . والهواء يسخنه الهواء الاعلى(٢) ، ولكنه يستضىء لامعا بواسطة الشمس لا من تلقاء ذاته .

---

(١) مز ١٩ : ١

(٢) وفى بعض النسخ « يسخنه الجو »

٦ — والآبار أيضاً والانهار لايمكن أن يكون لها وجود بدون الارض. ولكن الارض لا ترتكز على نفسها ، بل هى قائمة على دائرة المياه ، وهذه أيضاً محفوظة فى مكانها لارتباطها إرتباطا وثيقا بمركز السكون . والبحار والمحيطات العظمى التى تتدفق خارجا حول كل الارض تحركها الرياح وتحملها حيثما تدفعها قوة الريح . والرياح بدورها لا تنبعث من تلقاء ذاتها ، بل وفق من كتبوا فى هذا الموضوع ، أى تتولد فى الهواء من الحرارة المحرقة ودرجة حرارة الهواء العلوى الاكثر ارتفاعا من الهواء السفلى والذى يهب فى كل اتجاه مندفعا نحو الاخير (١)

٧ — أما عن العناصر الاربعة التى تتكون من طبيعة الاجساد أى الحرارة والبرودة ، والجفاف والرطوبة ، فمن ذا الذى اختل توازنه العقلى فلا يعرف أن هذه الاشياء كائنة فعلا مرتبطة ببعضها ، ولكنها اذا فصلت عن بعضها واخذ كل منها على حدة فانها تميل إلى أن تلاشى حتى بعضها بعضا وفق القوة الاعظم فى العنصر الاوفر . لان الحرارة تلاشيها البرودة إن كانت هذه الاخيرة بكمية اغزر ، والبرودة أيضا تعدمها قوة الحرارة والشىء الجاف يترطب بالرطوبة ، والرطب يجففه الجفاف .

(٢) اى نحو الهواء السفلى

الفصل الثامن والعشرون

على أن النظام الكونى لا يمكن أن يكون إلها . لانه يترتب على هذا أن الله مكون من أجزاء غير متشابهة ، ويخضعه للانحلال .

١ — إذن فكيف يمكن أن تكون هذه الأشياء آلهة وهى مفتقرة لمساعدة بعضها البعض ؟ وكيف يليق أن نسأل منها أى شيء إن كانت هى أيضاً تطلب المساعدة لنفسها بعضها من بعض ؟ لأن الحقيقة المسلم بها عن الله أنه ليس فى حاجة لأى شيء ، بل هو معتمد على ذاته مستقل بذاته ، ومنه تستمد كل الاشياء كيانها ، وهو يخدم الكل قبلما يخدمه الكل ، فكيف يجوز أن ندعو الشمس إلهاً والقمر وسائر أجزاء الخليقة ، التى ليست من نوع الآلهة ، بل هى مفتقرة لمعونة بعضها البعض ؟

٢ — ولكن لعلها إذا جزئت وأخذت على حدة فأن خصومنا أنفسهم لابد أن يعترفوا بأنها تعتمد بعضها على بعض لأن المظاهر واضحة وعينية . على أنهم قد يتحدون الكل معاً كأنها تكون جسماً واحداً ويقولون أن الكل هو الله . لأنه إذا ما اقترن الكل معاً لا يحتاج إلى معونة خارجية ، بل تكون المجموعة كافية لذاتها مستقلة من كل الوجوه . هكذا

قد يقول لنا على الأقل أولئك الفلاسفة المزعومون ، ولكننا هنا نفند آراءهم مرة أخرى .

٣ — وهذه الحجة لا تقل عن سابقتها ـ التى عولجت ـ فى اظهار فسادهم مقروناً بالجهل المطبق . لأنه إذا كان اقتران الأجزاء يكوّن الكل ، وكان الكل مكوناً من الأجزاء ، فان الكل يتضمن الأجزاء ، وكل منها جزء من الكل . ولكن هذه بعيدة كل البعد عن فكرة الله . لأن الله هو الكل ، وليس مكوناً من مجموعة أجزاء ، ولا يحتوى على عناصر متعددة ، بل هو نفسه خالق النظام الكونى . انظر أى تجديف ينطقون به ضد اللاهوت عندما يقولون هذا ؟ . لأنه إذا كان مكوناً من أجزاء فانه يتبع هذا حتماً إنه لا يماثل نفسه ، وإنه مكون من أجزاء غير متماثلة . لأنه إن كان شمساً فهو ليس قمراً ، وإن كان قمراً فهو ليس أرضاً ، وإن كان أرضاً فلا يمكن أن يكون بحراً . وهكذا إذا أخذ المرء الأجزاء واحـــداً فواحداً تبين له سخافة نظريتهم هذه .

٤ — على أن النقطة التالية المستقاة من مشاهدة جسمنا البشرى كافية لدحضهم . لأنه كما أن العين ليست حاسة السمع ، ولا الأخيرة يداً ، ولا البطن صدراً ، ولا العنق قدماً ، بل

لكل عضو وظيفته ، والجسم الواحد يتكون من هذه الأجزاء المتميزة ، التي اتحدت لتكون نافعة ، والمقدر لها أن تنفصل على مدى الزمن عندما تسمح الطبيعة التي اتحدتها معاً بأن فصلها كارادة الله الذى أمر بها - هكذا (وليسامحنا العلى لاستخدام هذه الحجة) إذا ما أتحدوا أجزاء الخليقة فى جسم واحد ونادوا به إلهاً فانه يتبع هذا أولا انه لا يماثل نفسه كما وضحنا سابقاً ، وثانياً أنه مقضى عليه أن يتجزأ ثانية وفقاً للميل الطبيعى لانفصال الاجزاء .

الفصل التاسع والعشرون

وتوازن القوى فى الطبيعة يبين انها (الطبيعة) ليست هى الله ، سواء كانت مجتمعة أو مجزأة .

١ — وبطريقة أخرى يمكن فضح الخادهم بنور الحق . لانه إن كان الله بطبيعته لا جسد له ، وغير منظور ، ولا ملموس فكيف يتخيلون أن الله جسد ، ويعبدون بكل إكرام إله تلك الاشياء التى نراها باعيننا ونلمسها بأيدينا ؟

٢ — وأيضاً ان كان ما قيل عن الله حقيقياً ، أى أنه قادر على كل شىء ، وأنه لا سلطان لأى شىء عليه ، بل له السلطان

والسيادة على الكل ، فكيف عجز أولئك الذين يؤلهون الخليقة عن أن يروا انها لا تستوفى هذا الوصف عن الله ؛ لانه حينما تكون الشمس تحت الأرض فان ظل الارض يجعل نورها غير منظور ، بينما فى النهار تحجب الشمس القمر بشدة ضيائها . والبرد كثيراً ما اضر ثمار الارض ، والنار تطفأ بغزير المياه . والربيع يلزم الشتاء بان يفسح له المجال ، بينما الصيف لا يسمح للربيع بأن يتعدى حدوده ، وهو بدوره يمنعه الخريف من أن يتعدى أوانه .

٣ — إذن فان كانت آلهة لوجب أن لا يقهر أو يحجب بعضها بعضاً ، بل أن تتعاون على البقاء دواماً ، وتؤدى وظائفها متعاونة . كان يجب أن تضىء الشمس والقمر وسائر مجموعة الكواكب فى الليل وفى النهار بالتساوى معاً ، وتعطى نورها للكل لكى تستضىء بها كل الأشياء . كان يجب أن يستمر الربيع والصيف والخريف والشتاء وتسير معاً دون تغيير . كان يجب أن تختلط البحار بالينابيع وتمد مياهها للانسان معاً . كان يجب أن يكون الجو هادئاً وعاصفاً فى وقت واحد . كان يجب أن تؤدى النار والمياه نفس الخدمة للانسان . لانه يجب أن لا ينال أى وا[illegible] آلهة كما يقول

خصومنا ، لا تفعل أى شىء للضرر بل بالحرى تفعل كل شىء للخير .

٤ — ولكن ان لم يكن أى شىء من هذه ممكنا بسبب تناقض بعضها بعضا فكيف يظل ممكنا أن يعطى إليها اسم الآلهة أو تعبد بالاكرام اللائق بالله مع أنها مخالفة بعضها لبعض ، وفى نزاع مستمر ، وعاجزة عن أن تتحد معا ؟ كيف يمكن للاشياء المتنازعة بطبيعتها أن تهب السلام للآخرين إجابة لصلواتهم ، وتصبح لهم مصدر وئام وإلفة وسلام ؟ إذن فلا يمكن أن تكون الشمس أو القمر ، أو أى جزء آخر من أجزاء الخليقة ، بل تماثيل الحجر أو الذهب أو أية مادة أخرى ، أو زفس وأبولو وغيرهما التى تدور حولها اساطير الشعراء - لا يمكن أن تكون آلهة حقيقية. هذا ما بينته براهيننا على أن بعض هذه أجزاء من الخليقة ، والبعض الآخر عديم الحياة ، والبعض الآخر كانوا مجرد بشر قابلين للفناء. لذلك فان عبادتها وتأليهها ليسا من الديانة فى شىء ، بل هما مصدر للفساد وكل أنواع الفجور ، وعلامة على شدة الابتعاد عن معرفة الله الواحد الحقيقى ، أى أب المسيح .

٥ — اذن فاذ قد تم اثبات هذا ، وتبين أن العبادة الوثنية

للاغريق مليئة بكل فساد ، وإن اختـــراعها لم يكن للخير بل لتدمير الحياة البشرية . تعال الآن - كما وعدنا فى براهيننا فى البداءة - لنسير فى طريق الحق ، بعد أن زهق الباطل . تعال لننظر مدبر ومبدع الـكون ، كلمة الآب ، لـكى تدرك الآب به ، ولـكى يعرف اليونانيون كيف طوحوا بأنفسهم عن الحق بعيداً .

الباب الثانى

الفصل الثلاثون

أن نفس الانسان تستطيع أن تعرف الله من تلقاء ذاتها ، لأنها عاقلة ، وذلك إن كانت أمينة لطبيعتها

١ — لقد ثبت بأن الاعتقادات السابق التحدث عنها ليست أكثر من مرشد مضل للحياة . أما طريق الحق فانه يهدف للوصول إلى الله الحقيقى . ولكى نصل إلى معرفة هذا الطريق وإدراكه إدراكاً تاماً لا يحتاج الأمر لشىء آخر سوى أنفسنا . وإن كان الله أسمى منا جداً فان الطريق اليه ليس بعيداً ولا خارجاً عن أنفسنا ، بل هو فينا ، ومن الميسور أن نجده من تلقاء ذواتنا لأول وهلة كما علم موسى أيضا عند ما قال (١) « الكلمة (أى كلمة الايمان) فى قلبك » . الامر الذى أعلنه المخلص وأيده حينما قال « ملكوت الله داخلكم (٢) »

٢ — لانه إن كان لنا فى أنفسنا الايمان وملكوت الله استطعنا بسرعة أن نرى وندرك ملك الكون كلمة الآب المخلص

(١) تث ٣٠ : ١٤ (٢) لو ١٧ : ٢١

لذلك فلا يلتمس اليونانيون — عبدة الاوثان — المعاذير لانفسهم ، ولا يخدعن أى انسان آخر نفسه ، مدعيا أنه ليس لديه مثل هذا الطريق متخذاً هذا الادعاء تكئة أو مبرراً لالحاده .

٣ — لاننا جميعا قد وضعنا أقدامنا على هذا الطريق ، وكلنا امتلكناه ، حتى وإن كنا لا نريد جميعا السير فيه ، بل يفضل البعض الانحراف عنه وارتكاب الاخطاء بسبب مسرات الحياة التى تستميلهم من الخارج . وإن سأل البعض ما هو هذا الطريق ، قلت انه هو نفس كل واحد منا ، وقوة الذكاء الكامنة فى النفس. لان بها وحدها يمكن التأمل فى الله وادراكه

٤ — إلا إذا أنكر الفسدة أن لهم نفسا كما أنكروا الله ، وهذا أمر أكثر معقولية من سائر أقوالهم ، لانه لا يليق بأناس ذوى ادراك أنكار الله خالق ومبدع الادراك . إذن فمن الضرورى — من أجل البسطاء — أن نبين بايجاز أن لكل واحد من بنى البشر نفسا ، وهذه النفس عاقلة ، سيما وأن بعض الطوائف تنكر هذا أيضا ، ظانين أن الانسان ليس إلا مجرد الجسد المنظور . وهذه النقطة إذا ما تم البرهان عليها قدم اليهم — من أشخاصهم — برهان أوضح ضد الاوثان

الفصل الحادى والثلاثون

البرهان على وجود النفس العاقلة (١) اختلاف الانسان عن الحيوان (١) قوة الانسان على التفكير الموضوعى . التفكير للعقل كالموسيقى لآلاته . ظواهر الأحلام يدعم هذا

١ — أولا — إذاً فالطبيعة العاقلة للنفس تتثبت بشدة من اختلافها عن المخلوقات غير العاقلة . لأن السبب فى تسميتها (١) بهذا الاسم أن الجنس البشرى عاقل

٢ — ثانيا — وليس هذا برهانا عاديا أن الانسان هو وحده الذى يفكر فيما هو خارج عن نفسه ، ويعلل الأشياء غير الموجودة أمامه فعلا ، ويتأمل ، ويختار الأفضل . لأن الحيوانات غير العاقلة ترى فقط ما هو أمامها ، ولا تتأثر إلا بما تقع عليه أعينها ، حتى ولو كانت النتائج ضارة لها ، بينما لا يتأثر الانسان بمجرد ما يراه ، بل يحكم فكره فيما يراه بعينيه . فغرائزه مثلا كثيراً ما يتحكم فيها العقل ، وعقله خاضع لاعادة التامل والتفكير . وكل واحد يدرك - إن كان محبا للحق - أن عقل البشرية متميز عن حواس الجسد

(١) أى المخلوقات غير العاقلة

٣ — ولانه متميز فهو يتحكم فى الحواس ، التى حينما ترى المرئيات فان العقل يميز ، ويتأمل ، ويبين لهـا ما هو أفضل . لأن الوظيفة الوحيدة للعين أن ترى ، ووظيفة الأذن أن تسمع ووظيفة الفم أن يذوق ووظيفة الأنف تمييز الروائح ، ووظيفة الأيدى اللمس . ولـكن ماذا يجب على المرء أن يرى ويسمع ؛ ماذا يجب عليه أن يلمس ويذوق ويشم ، هذا أمر خارج عن نطاق الحواس ، ويتعلق بالنفس وبالعقل المستقر فيها . فاليد تستطيع أن تستل السيف ، والفم قادر أن يذوق السم ، ولـكن كلاهما لا يعرف أن هذه مؤذية إن لم يقرر العقل

٤ — واذا ما تأملنا إلى هذه الحقيقة بالاستعانة بتشبيه وجدناها تشبه قيثارة دقيقة الصنع فى يد موسيقى ماهر . لأنه كما ان لكل من اوتار القيثارة نغمتها المضبوطة ، مرتفعة كانت أو منخفضة أو متوسطة ، حادة أو غير حادة ، الا أن أوزانها لا يمكن تمييزها ، وأزمانها لا يمكن ادراكها بدون الفنان . لأن الاوزان لا تتبين ، والازمان لا تستقيم الا اذا ضرب على الأوتار ماسك القيثار ولمس كلا منها بدقة . هكذا الحال أيضا فان الحواس فى الجسد كالقيثارة متى ساد عليها العقل الماهر استطاعت النفس أيضا ان تميز وتعرف ماذا تصنع وكيف تتصرف .

٥ — على أن هذا تتميز به البشرية فقط ، وهذه هى الناحية العقلية فى النفس البشرية ، وبه تختلف عن البهائم وتبين انها حقيقة متميزه عما يرى فى الجسد. فمثلا كثيراً ما فكر المرء وتأمل فيما هو فى السماء فى الوقت الذى يكون الجسد ملقى على الارض. وعندما يكون الجسد ساكنا ومستريحا ونائماً كثيراً ما تحرك المرء داخليا(١) ورأى ما هو خارج عن نفسه متجولا فى ممالك اخرى هائما ، ملتقيا بمعارفه ، وبهذه الوسائل يتكهن ويتنبأ عن احداث النهار. وهل يمكن أن يعزى هذا الا للنفس العاقلة التى بها يفكر الانسان فى الاشياء التى تسمو عليه ويدركها ؟ .

الفصل الثانى والثلاثون

(٣) والجسد لا يمكنه ان يبدع مثل هذه الظواهر . والواقع ان عمل النفس العاقلة يرى من تحكمها فى غرائز اعضاء الجسد

١ — والآن نضيف نقطة اخرى لتكملة بحثنا لفائدة اولئك(٢) الذين - بلا خجل - يلتجئون الى انكار العقل . كيف يمكن - والجسد فانٍ بالطبيعة - ان يفكر الانسان فيما

---

(١) وفى بعض القراءات (كثيراً ما تحرك الانسان الباطن فى النفس)

(٢) فصل ٣٠

يتعلق بالخلود ، وكثيراً ما رحب بالموت اذا تطلبت الفضيلة ذلك ؟ وطالما كان الجسد لا يبقى الا لوقت محدود فكيف يفكر الانسان فى الامور الابدية ، حتى يحتقر ما هو امامه، ويرغب فيما وراءه ؟ والجسد لا يستطيع من تلقاء ذاته ان يفكر هذه الافكار عن نفسه ، ولذلك لا يستطيع ان يفكر فيما هو خارج عن نفسه . لانه فان ولا يدوم الا لوقت محدود . ويتبع هذا أن الذى يفكر فيما هو ضد الجسد وضد طبيعته يجب ان يكون متميزاً فى نوعه . اذاً فهل يمكن ان يكون هذا الا النفس العاقلة الخالدة ؟ لانها تنقل صدى الامور الاعلى ، لا خارج الجسد بل داخله ، كما يفعل الموسيقى بقيثارته .

٣ — وأيضا كيف يمكن للعين وقد خلقت بطبيعتها لكى ترى ، والأذن لتسمع ، كيف يمكن أن تتحولا من بعض الاشياء لتختار غيرها ؟ لانه ما الذى يصد العين عن النظر ؟ أو ما الذى يغلق الاذن عن السمع الذى هو وظيفتها الطبيعية ؟ أو ما الذى كثيراً ما يمنع الحلق — الذى من طبيعته أن يذوق الاشياء — عن وظيفته الطبيعية ؟ أو ما الذى يعوق اليد عن حركتها الطبيعية وهى لمس الاشياء ؟ أو يحول حاسة الشم عن وظيفتها العادية ؟ ما الذى يعمل هكذا ضد غرائز الجسد

الطبيعية ؟ أو كيف يمكن للجسد، وقد تحول عن طريقه الطبيعى أن يخضع لمشورة غيره ويسمح لنفسه أن يكون رهن اشارته؟ هذه تبرهن بكل بساطة أن النفس العاقلة تسود على الجسد.

٣ — لأن الجسد لم يتكون ليقود نفسه بنفسه، بل هو يتحرك كأرادة غيره، كما أن الحصان لا يضع النير على عنقه بنفسه، بل يقوده سيده. من هنا كانت النواميس للكائنات البشرية لتعمل الخير وتمتنع عن الشر، بينما لا تفكر البهائم فى الشر ولا تدركه، لأنها (١) خارجة عن دائرة المعقولية والفهم. إذاً فاظن أن وجود النفس العاقلة فى الانسان قد تبرهن مما قدمناه.

الفصل الثالث والثلاثون

النفس خالدة. البرهان على ذلك (١) من انها متميزة عن الجسد (٢) انها مصدر الحركة (٣) قدرتها على أن تسبح فيما هو خارج عن الجسد بالتأمل والتفكير

١ — أما أن النفس جعلت خالدة فهذا موضوع آخر فى تعاليم الكنيسة يجب ان تعرفه لكى تتبين كيف يجب تحطيم

(١) أى البهائم

الاوثان . على أننا سوف نصل - بدرجة أقرب - إلى معرفة هذا بما نعرفه عن الجسد ومن اختلاف النفس عن الجسد ، لأنه ان كانت براهيننا قد أثبتت أن النفس متميزة عن الجسد . وان كان الجسد بالطبيعة فانيا ، فيتبع هذا أن النفس خالدة لأنها لا تماثل الجسد .

٢ — وأيضاً لأنه إن كانت النفس - كما بينا - تحرك الجسد ؛ الذى لا يتحرك بغيرها ، فيتبع هذا أن حركة النفس اختيارية ذاتية ، وهذه الحركة الذاتية تستمر بعد دفن الجسد فى التراب . إذاً فان كانت النفس يحركها الجسد اترتب على هذا أن انفصال محركها عنها ينشيء موتها . ولكن إن كانت النفس تحرك الجسد أيضاً لترتب على هـــذا أنها تحرك نفسها بالأحرى . وان كانت تحرك نفسها ترتب على هذا انها تحيا بعد الجسد .

٣ — لأن حركة النفس هى بعينها حياتها ، كما نقول تماماً بطبيعة الحال أن الجسد حى إن كان يتحرك ، وأنه مات ان بطلت حركته . ولكن هذا يمكن تبيانه بأكثر وضوح - بصفة قاطعة - من فعل النفس فى الجسد . لأنها حتى إن كانت وهى متحدة بالجسد ومجتمعة به ليست محبوسة أو محدودة بحدود

الجسد الضيقة ، بل حينما يكون الجسد مضطجعاً فى الفراش عديم الحركة مستغرقاً فى نوم يشبه الموت ، كثيراً ما ظلت النفس مستيقظة بفضل قوتها وفاقت قوة الجسد الطبيعية ، وراحت تتخيل وتنظر أشياء اسمى من الأرض كأنها تتجول خارج الجسد مع أنها باقية فيه ، وكثيراً ما اتصلت بالقديسين والملائكة الذين هم اسمى من دائرة الوجود الارضى والجسدى . واقتربت منهم بفضل طهارة قوتها العقلية ، ألا يحصل بالاولى . حينما تنفصل عن الجسد فى الوقت المحدد من الله الذى جمعهما معاً أن تزداد معرفتها عن الخلود بأكثر ايضاح ؟ لأنها إن كانت وهى مجتمعة بالجسد كانت تحيا حياة خارج الجسد ، فبالاولى تستمر حياتها بعد موت الجسد ، وتحيا بلا انقضاء بفضل الله الذى خلقها هكذا بكلمته ربنا يسوع المسيح .

٤ — لأن السبب فى أن النفس تفكر وتذكر ما يتعلق بالخلود والأبدية هو انها هى نفسها خالدة . وكما أن الجسد ان كان فانياً فان حواسه أيضاً تتصل بما هو فان ، كذلك طالما كانت النفس تنظر وتتأمل فيما هو خالد فيترتب على هذا أنها خالدة وتحيا للابد . لان الآراء والأفكار عن الخلود لا تفارق النفس أبداً ، بل تلازمها وتثبت فيها [illegible] مما يؤكد

خلودها . إذاً فهذا هو السبب فى أن للنفس قدرة على رؤية الله ، وهذا هو طريقها إليه ، مستمدة معرفتها وادراكها عن كلمة الله لا من الخارج بل من ذاتها .

الفصل الرابع والثلاثون

اذاً فان تخلصت النفس من ادران الخطية استطاعت ان تعرف الله مباشرة ، اذ تصور لها طبيعتها العاقلة كلمة الله الذى خلقت على صورته . ولكن حتى اذا لم تستطع اختراق السحب التى بسطتها الخطية على بصيرتها فانها تواجه بشهادة الخليقة عن الله .

١ — اذاً فاننا نكرر ما سبق ان ذكرناه وهو انه كما انكر البشر الله وصاروا يعبدون أشياء لا نفس لها ، هكذا أيضاً بتوهمهم انهم ليست لهم نفس عاقلة ينالون حالا قصاص غباوتهم أى انهم يحسبون فى عداد المخلوقات غير العاقلة . لذلك فانهم يستحقون الشفقة والارشاد طالما كانوا بخزعبلاتهم يعبدون آلهة عديمة النفس كأنهم عديمى النفس .

٢ — أما ان اعترفوا بان لهم نفساً ، وافتخروا بحق بالنفس العاقلة ، فلماذا يتجاسرون على تجاوز حدود العقل ، كأن لا نفس لهم ، ولا يفكرون كما ينبغى ويتوهمون فى انفسهم بانهم

أعلى حتى من اللاهوت ؟ لانهم وهم لهم نفس خالدة وغير منظورة يجعلون لأنفسهم صورة لله من الاشياء المنظورة الفانية. ولماذا لا يحملون انفسهم ويرجعون إلى الله ثانية كما ابتعدوا عنه ؟ لأنهم يستطيعون أن يسموا بقوة ادراك نفوسهم ويرجعوا ثانية إلى الله كما حولوا ذهنهم عن الله وتوهموا لأنفسهم آلهة من العدم .

٣ — على انهم يستطيعون الرجوع ، اذا خلعوا ثوب دنس كل الشهوات الذى ارتدوه ، وانتزعوه بمثابرة ، إلى أن يتخلصوا من كل المواد الغريبة التى اثرت فى نفوسهم ، ويستطيعوا ان يظهروا نفوسهم فى بساطتها كما خلقت ، وبهذا يستطيعون ان يروا بها كلمة الآب الذى خلقوا على صورته . لان النفس خلقت على صورة الله ومثاله ، كما تبين الكتب الالهية حين تقول على لسان الله(١) ,, نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا ،، لذلك أيضاً فانها حينما تتخلص من كل ادران الخطية التى تغطيها وتستبقى فقط شبه الصورة فى طهارتها فانه اذ تستنير هذه الصورة استنارة كاملة ترى النفس يقيناً — كما فى مرآة — صورة الآب ،

---

(١) تك ١ : ٢٦

أى الكلمة ، وبه تصل إلى فكرة الآب ، الذى نعلم أن صورته هو المخلص .

٤ – أما اذا كانت تعاليم النفس غير كافية بسبب الأشياء الخارجية التى تطمس عقلها ، وتعوقها عن رؤية ما هو أعلى ، فانها على ذلك تستطيع معرفة الله من الاشياء المنظورة ، طالما كانت الخليقة تعلن بصوت عال – كما فى حروف مكتوبة – ربها وخالقها ، وذلك بنظامها وتناسقها .

الباب الثالث

الفصل الخامس والثلاثون

الخليقة اعلان عن الله سيما فى النظام والتناسق اللذين يسودان الكل .

١ — ولان الله صالح ومحب للبشر ، ويعنى بالنفوس التى خلقها ، ولانه بالطبيعة غير منظور وغير مدرك ، اذ أن شخصه فوق كل الكائنات المخلوقة (١) ، الأمر الذى لأجله كان الجنس البشرى عرضة ليضلوا عن طريق معرفته لانهم خلقوا من العدم أما هو فانه غير مخلوق . لهذا السبب اعطى الله الكون ، بكلمته ، نظامه الحالى ليتمكن البشر من معرفته على أى حال بأعماله طالما كان هو بالطبيعة غير منظور . لانه كثيراً ما عرف الصانع بصنعته حتى ولو كان غير منظور .

٢ — وكما يقولون عن فيدياس (٢) النحات ان صناعته الفنية تنبىء عنه فى الحال لكل من يراها حتى ولو لم يكن موجودا وذلك بسبب دقتها التامة وتناسق اجزائها ، هكذا اذا ما تأمل المرء فى نظام الكون وجب ان يدرك الله صانعه وبارئه حتى

(١) انظر ف ٤٠ : ٢ .

(٢) Phidias مهندس ونحات اثينى (٥٠٠ — ٤٢٢ ق.م.)

وان كان لا يرى بالاعين الجسدية . لأن الله لم يكتف بطبيعته غير المنظورة (ولا يتخذن أحد ذلك حجة) ولم يترك نفسه غير معروف للبشر كلية ، بل كما قلت سابقاً رتب الخليقة ونظمها حتى يعرف باعماله وان كان غير منظور بالطبيعة .

٣ — ولا أقول من تلقاء ذاتي بل بقوة ما تعلمته من البشر الذين تكلموا بلسان الله ، ومنهم بولس الذى كتب لأهل رومية قائلا (١) « لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات » . ولأهل ليكأونية صرخ قائلا (٢) « نحن أيضاً بشر تحت آلام مثلكم نبشركم ان ترجعوا من هذه الاباطيل إلى الاله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها . الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون فى طرقهم . مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد . وهو فعل خيراً وأعطانا كم من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة مالئاً قلوبكم طعاماً وسروراً »

٤ — لأنه من ذا الذى يرى دائرة السماء ومجرى الشمس والقمر وأوضاع وحركات سائر النجوم اذ تتخذ أمكنتها فى اتجاهات مضادة ومختلفة ، ومع ذلك فانها فى اختلافاتها تحفظ نظاماً ثابتاً بالاجماع ، من ذا الذى يرى هذا وينكر هذه النتيجة

(١) رو ١ : ٢٠ (٢) اع ١٤ : ١٥ — ١٧

انها لم تنتظم من تلقاء ذواتها ، بل لها خالق يتميز عنها ويحفظ لها نظامها ؟ أو من ذا الذى يرى الشمس تشرق نهاراً والقمر يضيء ليلا متناقصاً ومتزايداً بلا اختلاف وفق نفس عدد الايام ، وبعض النجوم تسير فى افلاكها المختلفة والمتعددة ، وبعضها تتحرك ولكن دون ان تكون على غير هدى ، وبعد ذلك يعجز عن أن يدرك أن لها يقيناً خالقاً يرشدها ؟ .

الفصل السادس والثلاثون

والاغرب من كل هذا إذا ما تأملنا فى القوى المضادة بعضها لبعض والتى عنها ينتج هـــذا النظام الحالى .

١ — ومن ذا الذى يرى الأشياء المتنافرة فى طبيعتها متحدة ، ومتناسقة ، كالنار مختلطة بالبرودة مثلا ، والجفاف مختلطا بالرطوبة ، دون أن تتنازع معاً ، بل تكوّن جسما واحداً كأنها متجانسة الاجزاء .. من ذا الذى يرى هذا دون أن يستنتج أن هنالك شخصية خارجة عن هذه الأشياء ، وهى التى اتحدتها معاً ؟ من ذا الذى يرى الشتاء يفسح المجال للربيع ، والربيع للصيف ، والصيف للخريف ، وهذه تختلف بطبيعتها ، لأن الواحد يسبب القشعريرة والآخر يحرق ، الواحد ينعش

والآخر يتلف ، ومع ذلك فالكل تتوازن وتنتج خيراً للبشرية — من ذا الذى يرى هذا دون أن يدرك أن هنالك من هو أسمى منها ، يوازنها ويهديها كلها ، حتى وان كان لا يراه ؟

٢ — من ذا الذى يرى السحب محمولة على الهواء ، وثقل الماء متكتلا فى السحب دون أن يدرك ذاك الذى جمعها إلى فوق ، ورتب هذه الاشياء على هذه الحال ؟ أو من ذا الذى يرى الأرض وهى اثقل من كل شيء بالطبيعة ، مثبتة على المياه ولا زالت ثابتة فوق ما هو متقلقل بطبيعته ، دون أن يدرك أن هنالك من خلقها ورتبها على هذه الحال ، أى الله ؟ من ذا الذى يرى الارض تعطى اثماراً فى الاوقات المناسبة ، والامطار تهطل من السماء ، وفيضان الأنهار ، وتفجر الينابيع ، وتوالد الحيوانات من آباء غير متشابهة ، وهذه الاشياء تحدث لا فى كل الاوقات ، بل فى فصول معينة ، وبصفة عامة بين اشياء متنافرة ومضادة بعضها للبعض ولكنها تتوازن وتتوافق معاً — من ذا الذى يرى هذا ويستطيع مقاومة هذا الاستنتاج أن هنالك "قوة" ، تنظمها وتدبرها ، وترتب الاشياء حسناً حسبما تراه مناسباً ؟

٣ — لانها لو تركت لنفسها لما امكنها البقاء ، بل حتى لما

امكنها الظهور بسبب مخالفتها بعضها لبعض بالطبيعة . فالماء بطبيعته ثقيل ويميل للانسكاب إلى أسفل ، بينما السحب خفيفة وتدخل فى دائرة الاشياء التى تميل أن تحلق وتصعد إلى فوق ومع ذلك فاننا نرى الماء - وهو ثقيل يحمل فى السحب إلى فوق . كذلك أيضاً الارض ثقيلة جداً ، بينما المياه خفيفة نسبياً ، ومع ذلك فالأثقل محمول على الأخف ، والارض لا تغرق بل هى باقية لا تتزعزع . والذكر والانثى ليسا واحداً ، ومع ذلك فانهم يتحدان معاً ، والنتيجة هى تناسل الحيوان الذى يخرج من كليهما مشابهاً لهما . وبالايجاز ان البرودة مضادة للحرارة ، والرطوبة تحارب الجفاف ، ومع ذلك فانها تجتمع معاً دون أى نزاع ، بل تتفق ، وتنتج جسماً واحداً ، ويتولد منها كل شىء .

الفصل السابع والثلاثون

تكملة نفس الموضوع

١ — إذاً فالأشياء المتنافرة بطبيعتها والمضادة بعضها للبعض لا يمكن أن تصطلح معاً لو لم يكن هنالك من هو أسمى منهـا

وسيدها ليتحدها ، الذى تخضع له العناصر طائعة كما يطيع العبيد السيد . وبدلا من ان يراعى كل شيء طبيعته ويتنازع مع جاره ، فانها كلها تدرك الرب الذى اتحدها ، وتتناسق بعضها مع بعض ، مع انها مضادة لبعض بالطبيعة ، وتتوافق حسب إرادة ذاك الذى يرشدها

٢ — لأنه لو لم يكن امتزاجها معاً يعزى لسلطة أعلى فكيف كان ممكناً للثقيل أن يمتزج ويتحد مع الخفيف ، والرطب مع الجاف ، والمستدير مع المستقيم ، والنار مع البرودة ، أو البحر مع الأرض ، أو الشمس مع القمر ، أو النجوم مع السماء ، والهواء مع السحب ، مع أن طبيعة الواحد تختلف عن طبيعة الآخر ؟ لأنه كان لا بد من حصول نزاع شديد بينها فالواحد يحرق والآخر يشع برودة ، والثقيل ينحدر إلى أسفل والخفيف يتجه إتجاهاً مضاداً إلى أعلى ، والشمس تنير بينما يذيع الهواء ظلمة ، بل النجوم نفسها تتنازع بعضها مع بعض طالما كان البعض وضعه أعلى والبعض وضعه أسفل ، ولرفض الليل أن يفسح المجال للنهار ، بل أصر أن يظل مجاهداً ضده ومقاوماً إياه

٣ — على انه إن كان الحال هكذا لما رأينا الكون منتظماً

ل مشوشاً ، ولما رأينا تناسقاً بل اضطراباً وفوضى، ولما رأينا
دقة وأحكاماً بل لرأينا كل شيء مختلا ، ولما رأينا تناسباً بل كل
الأشياء متفاوتة . لأنه في النزاع العام والصراع المشترك
إما أن تبيد كل الأشياء أو يظهر مبدأ السيادة وحده . وحتى
هذا المبدأ الأخير فانه تظهر الفوضى بين الجميع ، لأنه لو ترك
أى شيء وحـــده وحرم من معاونة سائر الأشياء لسبب
الاضطراب بين الجميع . كما إنه لو تركت اليد والرجل وحدهما
فان ذلك لا يحفظ للجسم كاله

٤ — لأنه كيف يصير حال الكون لو أن الشمس وحدها
هى التى تظهر ، أو لو أن القمر وحده هو الذى يسير فى مجراه ،
أو لو لم يكن سوى الليل ، أو لو كان للنهار صفة الدوام ؟
أو هل يبقى أيضاً هنالك أى تناسق لو أن السماء وجدت بدون
النجوم ، او وجدت النجوم بدون السماء ؟ أو ما المنفعة لو كان
هنالك بحر فقط ، أو لو وجدت الأرض وحدها بدون مياه
وبدون أجزاء الخليقة الأخرى ؟ أو كيف كان ممكناً للانسان
أو أى حيوان أن يظهر على الأرض لو صارت العناصر
فى نزاع متبادل ، أو صارت السيادة والغلبة لعنصر واحد ،
ولم يكن هذا العنصر الواحد [illegible] الأجساد ؟

لأنه لا يمكن لأى شىء فى العالم أن يتكون من الحرارة وحدها أو البرودة ، أو الرطوبة ، أو الجفاف ، وإلا صارت كل الاشياء بدون نظام أو امتزاج . وحتى العنصر الذى تبدو له السيادة لا يمكن ان يوجد دون معاونة بقية العناصر ، لان هذه هى الطريقة التى بها يوجد كل عنصر الآن

الفصل الثامن والثلاثون

تتضح وحدة الله من تناسق نظام الطبيعة

١ — إذاً فان كان يوجـــد هنالك فى كل مكان نظام لا اضطراب ، وتناسب لا تباين ، وترتيب لا تشويش . وكل شىء فى نظـام متناسق . وجب علينا حتما . بل دفعنا دفعاً ان ندرك السيد الذى جمع كل الاشياء معاً وأحكمها واوجد فيها تناسقا . لانه وإن كان لا يرى بالعين إلا انه يمكن من رؤية نظام وتناسق الاشياء المضادة ان ندرك ضابطها ومرتبها وملكها .

٢ — لانه كما اننا إن راينا مدينة تحوى شعبا كثيراً ومختلفاً عظماء وحقيرين ، أغنياء وفقراء ، كباراً وصغاراً ، ذكوراً وأناثاً

فى حالة منظمة ، ووجدنا أن سكانها وإن كانوا يختلفون بعضهم عن بعض إلا انهم متحدون فيما بينهم ، فالغنى لا يقوم على الفقير ولا العظيم على الحقير ، ولا الشباب ضد الشيوخ ، بل يعيش الجميع فى سلام متمتعين بحقوق متساوية — إذا رأينا هذا فلا بد من الاستنتاج أن هنالك حاكماً ، وأن وجوده هو الذى يسبب هذا النظام حتى وإن كنا لا نراه ، (لأن سوء النظام علامة على عدم وجود حكم ، بينما يبين النظام أن هنالك سلطة حاكمة . فاننا حينما نرى التناسق المتبادل فى أعضاء الجسد ، فالعين لا تتنازع مع السمع ، ولا اليد تتشاحن مع القدم ، بل كل عضو يؤدى وظيفته دون أى نزاع ، فاننا ندرك من هذا أن هنالك يقيناً نفساً فى الجسد تضبط هذه الأعضاء وإن كنا لا نراها) كذلك الحال أيضاً عند ما نرى نظام وتناسق الكون يجب أن ندرك الله ضابطه كله ؛ وانه واحد غير متعدد .

٣ — اذاً فان هذا النظام فى ترتيبه وهذا التناسق والتوافق فى كل الأشياء ـ هذه تبين أن الكلمة ، ضابطه ومدبره غير متعدد بل واحد . لأنه لو كان هنالك أكثر من ضابط واحد للخليقة لما استمر هذا النظام الجامع الشامل ، بل لوقعت كل الأشياء

فى فوضى نظراً لتعددها(١) ، فكل منها يحاول ان يدفع كل الأشياء حسب ارادته محارباً الآخر . وكما قلنا ان تعدد الآلهة معناه الكفر والالحاد وعدم الاعتقاد بأى إله ، هكذا يتبع ان حكم أكثر من واحد معناه عدم حكم احد على الأطلاق . لأن كل واحد يريد أن ينقض حكم الآخر ، فلا يظهر أى واحد حاكما ، بل تحل الفوضى فى كل مكان . وحيث لا يوجد حاكم وجدت الفوضى وسوء النظام بطبيعة الحال .

٤ – وبالعكس ان النظام الواحد والتناسق بين الأشياء المتعددة والمختلفة يبينان أن الحاكم أيضاً واحد . فكما اذا سمع المرء عن بعد قيثارة مكونة من أوتار متعددة مختلفة واعجب بتوافق نغماتها ، أى أن صوتها لا يتكون فقط من نغمات منخفضة ولا من نغمات عالية أو متوسطة فقط بل تعطى كل الاوتار أصواتها متوازنة معاً ، لا يتسرب إلى ذهنه قط ان القيثارة تلعب من تلقاء نفسها ، أو أن أشخاصاً كثيرين يضربون عليها ، بل يثق تماماً أن هنالك موسيقياً واحداً (حتى وان كان لا يراه) استطاع بمهارته ان يوجد توافقاً بين كل الاوتار لتعطى نغمة شجية ـ هكذا أيضا اذا كان نظام كل

(١) تعدد الالهة

الـكون فى توافق كامل ، دون ان يكون هنالك نزاع أو ثورة من الأعلى ضد الأسفل ، أو من الأسفل ضد الأعلى ، وكل الأشياء تتحد معاً فى نظام واحد ، فمن اللائق أن نعتقد بأن ضابط وملك كل الخليقة واحد لا كثيرين ، وهو الذى بنوره يضىء ويحرك الـكل .

الفصل التاسع والثلاثون

استحالة تعـــدد الآلهة

١ — لاننا يجب أن لا نتوهم أن هنالك أكثر من ضابط وخالق واحد للخليقة ، فالديانة السليمة الحقيقية تعتقد أن بارئها واحد ، والخليقة نفسها تشير إلى هذا بوضوح . لأنه إن كان لا يوجد سوى كون واحد لا أكثر فان هذا برهان قاطع على أن خالقه واحـد . فان كان هنالك تعدد للآلهة وجب أن يكون أيضاً هنالك حتماً أكثر من واحد . لأنه لا يعقل أن آلهة كثيرين يصنعون كوناً واحداً ، أو أن الـكون الواحد يخلقه أكثر من واحد ، بسبب ما يتبع هذا من سخافات .

٢ — فاولا إن كان الـكون الواحد خلقته آلهة كثيرون

كان هذا معناه الضعف من جانب الذين خلقوه ، لان الكثيرين اشتركوا فى نتيجة واحدة ، وكان هذا برهاناً قوياً على النقص فى المقدرة على الخلق فى كل منهم . لانه إن كان واحد كافياً لما كانت هنالك حاجة للكثيرين لكى يكمل كل واحد نقص الآخر . أما القول بأن هنالك أى نقص فى الله فان هذا ليس معناه الحاداً فحسب بل هو فوق كل وقاحة . لانه حتى بين البشر لا يمكن أن يدّعى أى صانع الكمال ان كان يعجز عن اتمام عمله ، قطعة واحدة من العمل ، بمفرده بدون مساعدة الكثيرين غيره .

٣ — أما ان كل واحد يستطيع إتمام العمل بأكمله غير أن الجميع عملوا فيه لكى يساهموا فى النتيجة ، فان الاستنتاج المضحك الذى نخرج به أخيراً هو أن كل واحد عمل لينال شهرة لئلا يشك فى مقدرته . ومرة أخرى نقول أنه من أشد السخافات أن ينسب للالهة حب الظهور .

٤ — وأيضاً ان كان كل واحد كافياً لخلقة الكل فما الداعى لاكثر من واحد ، طالما كان فى الواحد كل الكفاية للكون ؟ وعلاوة على هذا فمن الوقاحة والسخافة أن يجعل الشيء المخلوق واحداً بينما الخالقون كثيرون ومتعددون ، فالقاعدة العلمية

مى أن ما كان واحداً وكاملا هو اسمى من الاشياء المتعددة .

٥ — وهذا ما يجب أن تعرفه أنه إن كان الكون قد خلق بآلهة متعددة لصارت حركاته عديدة ومخالفة بعضها للبعض : لانه إذا التفت إلى كل واحد من خالقيه فان حركاته لابد أن تكون مختلفة بالتبعية . وهذه الاختلافات أيضاً - كما قدمنا - تتضمن الاضطراب وعدم النظام. لانه حتى السفينة لا يمكن أن تسير مستقيمة إن كان يقودها كثيرون ، وما لم يمسك الدفة ربان واحد . والقيثارة لن تعطى نغمات متوافقة إن كان يضرب عليها الكثيرون ، ما لم يضرب عليها فنان واحد .

٦ — اذاً فطالما كانت الخليقة واحدة والكون واحداً ونظامه واحداً وجب أن ندرك أن ملكها ومبدعها واحداً أيضاً . لان هـــذا هو السبب فى أن البارىء نفسه صنع كل الكون واحداً ، لئلا يتوهم تعدد البارئين أن وجد أكثر من كون واحد . أما إن كان ما عمل واحداً فانه يعتقد أن صانعه أيضاً واحد . ويجب أن لا يستنتج من وحدة البارىء أن الكون يجب أن يكون واحداً ، فالله كان قادراً أن يخلق أكواناً أخرى فى نفس الوقت . ولكن لان الكون الذى خلق واحد وجب الاعتقاد أن بارئه أيضاً واحد .

الفصل الأربعون

ان معقولية الكون ونظامه برهان على أنه من صنع العقل أو كلمة الله

١ — إذاً من يكون هذا البارىء ؟ لان هذه نقطة يجب توضيحها لئلا يتوهم الانسان بارئاً آخر بسبب جهله البارىء الحق ، فيتردى مرة أخرى فى ضلالة الالحاد القديمة . على انى أعتقد أنه لا يوجد من يتسرب اليه الشك فى هذه الحقيقة . لانه إن كانت أدلتنا قد برهنت أن آلهة الشعراء ليست آلهة ، واثبتت خطأ أولئك الذين يؤلهون الخليقة ، وبينت بصفة عامة أن العبادة الوثنية كفر والحاد وفساد ، نتج عن هذا حتماً من استبعاد هذه الآلهة أن الديانة الحقيقية بجانبنا ، وأن الاله الذى نعبده ونكرز به هو الآله الحق الواحد ، الذى هو رب الخليقة وبارىء كل الوجود .

٢ — ومن يكون هذا سوى أب المسيح السامى فى القداسة والمتعالى فوق كل الموجودات المخلوقة ، الذى - كربان ماهر - يدير دفة كل الأشياء بحكمته وكلمته ربنا ومخلصنا المسيح ، ويحفظها وينظمها ، ويفعل كل ما يراه صالحاً ؛ على أن ما عمل

وما نراه حادثاً هو الأصلح ،طالما كان هو ما يريده ،وهذا يعسر على الانسان أن يرفض الاعتقاد به .

٣ — لانه لو كانت حركة الخليقة غير معقولة ، ولو كان الكون يسير بلا خطة ، لحق للانسان أن لا يصدق ما نقول . أما إن كان قائماً بالدقة والحكمة والمهارة ، وان كان منتظماً كل الانتظام فى كل نواحيه ، نتج عن هذا أن ذاك الذى هو أعلى منه ونظمه ليس إلا (عقل أو) كلمة الله .

٤ — ولا أقصد بالكلمة تلك القوة الغريزية المودعة فى كل الأشياء المخلوقة التى أعتاد البعض أن يسموها المبدأ الخالق ،(١) والعديمة النفس التى ليست لها قوة المعقولية أو التفكير ، بل تعمل من الظاهر حسب فطنة من يستخدمها ، ولا اقصد كلمة الكائنات العاقلة والمكونة من مقاطع وتتلون حسب قوة تعبيرها ، بل أقصد ,, الكلمة ،، الحى القوى ، كلمة الله الصالح ، إله الكون ، نفس ,, الكلمة ،، الذى هو الله (٢) ، الذى وهو يختلف عن كل الأشياء التى خلقت ، وعن كل الخليقة ، فهو ,, الكلمة ،، الواحد للآب الصالح ، الذى بعنايته نظم هذا الكون وينيره .

---

(١) القدرة على خلق النوع (٢) يو ١ : ١

٥ — وإذ هو « الـكلمة » الصالح للآب الصالح فقد أبدع نظام كل الأشياء ، متحداً الشيء الواحد مع سائر الأشياء التي تخالفه ، ومخضعاً إياها لنظام واحد متناسق . وإذ هو قوة الله وحكمة الله فإنه يجعل السماء تدور ، وعلق الأرض وثبتها بمجرد اشارة منه(١) رغم أنها لا ترتكز على شيء . والشمس إذ تستضيء به تنير العالم ، والقمر له مدته المحدودة للاضاءة . وإليه (٢) يعزى تعلق الماء في السحب ، وهطول الامطار على الأرض ، وحفظ البحار في حدودها ، والأرض تحمل العشب وتكتسي بكل أنواع النباتات .

٦ — وإن شك أي إنسان فيما نقول وتساءل ان كان يوجد هنالك كلمة الله على الاطلاق(٣) فان انساناً كهذا لا بد أن يكون معتوهاً إذ يشك في كلمة الله ، ومع ذلك فمن الممكن توضيح الأمر بما يُرى ، لأن كل الأشياء كائنة بكلمة الله وحكمته ، كما أنه لا يمكن لأي شيء مخلوق أن يكون له وجود ثابت لو لم يكن قد خلقه العقل ، وهذا العقل هو كلمة الله كما قلنا .

---

(١) أو « بإرادته » أو « بأمره » كما قد يفهم من الأصل اليوناني
(٢) إلى كلمة الله (٣) [illegible]

الفصل الحادي والاربعون

وجود (الكلمة) فى الطبيعة ضرورى ليس فقط لخلقتها اصلا بل أيضاً لدوامها

١ — على انه وان كان هو «الكلمة»، فانه ليس - كما قلنا - كالكلمات البشرية مكوناً من مقاطع، بل هو صورة ابيه غير المتغيرة. ولان البشر مكونون من أجزاء ومخلوقون من العدم فان احاديثهم مزيج من أشياء مختلفة وقابلة للتجزئة. أما الله فله وجود حقيقى وليس مزيجاً من أشياء مختلفة، ولذلك فان كلمته أيضاً له وجود حقيقى وليس مزيجاً، بل هو الله الواحد الوحيد (١)، خرج بصلاحه من الآب كما من ينبوع صالح، وهو يضبط كل الأشياء ويدبرها.

٢ — أما السبب الذى لاجله أتحد الكلمة، كلمة الله، نفسه (٢) بالمخلوقات فهو عجيب حقاً، ويعلمنا ان النظام الحالى للأشياء لائق كل اللياقة. لأن طبيعة المخلوقات - وقد برزت إلى الوجود من العدم - زائلة وضعيفة وفانية، ان كانت مكونة من نفسها فقط. على أن إله الكل صالح وسام فى النبل بالطبيعة، ولذلك فهو رحوم. لان الشخص الصالح لا يمكن ان يحسد

(١) يو ١ : ١٨ (٢) انظر «تجسد الكلمة» ٤٣ : ٤ الخ

احداً (١) ، ولهذا السبب فانه لا يمكن ان يحسد احداً حتى على الوجود ، بل يتمنى ان يوجد الجميع ليظهر فيهم رأفته وحنانه .

٣ — اذاً فانه اذ رأى ان كل الطبيعة التى خلقت زائلة وعرضة للانحلال ، وفق نواميسها ، ولكى لا تنتهى إلى هذا المصير ، ولكى لا يتحطم الكون مرة أخرى ويعود إلى العدم ، لهذا فانه خلق كل الأشياء بكلمته الازلى ، واعطى الخليقة وجوداً كيانياً ، وعلاوة على ذلك لم يتركه يطوح به فى عاصفة فى اتجاه طبيعته ، لئلا يتلاشى من الوجود مرة اخرى (٢) . ولكنه نظراً لصلاحه يرشد كل الخليقة ويركزها بكلمته الذى هو نفسه الله أيضاً ، لكى يكون للخليقة نور بتدبير ورعاية وتنظيم ,,الكلمة،، ولكى تتمكن من ان تستقر آمنة دواماً . لانها تشترك مع ,,الكلمة،، الذى يستمد الوجود الحقيقى من الآب ، وتستمد منه المعونة للوجود ، لئلا يصيبها ما كان ممكناً ان يحل بها لولا بقاؤها بواسطة ,,الكلمة،، ، أى لئلا يصيبها الانحلال ، لأنه «هو صورة الله غير المنظورة بكر كل خليقة . فانه به وفيه كل

---

(١) انظر « تجسد الكلمة » ٣:٣ (٢) انظر « تجسد الكلمة » ٤٣ : ٧ (الحاشية)

الأشياء كائنة ، ما يرى وما لا يرى ، وهو رأس الكنيسة ، كما يعلم خدام الحق فى كتاباتهم المقدسة (١) .

الفصل الثانى والاربعون

وصف عمل الكلمة هذا بتوسع

١ — اذاً فان كلمة الآب القدوس ، الكلى القدرة ، والكلى الكمال ، اذ اتحد بالكون وكشف عن قواته فى كل مكان ، وأنار الكل ، ما يرى وما لا يرى ، وهو يمسكها كلها ويربطها بنفسه ، دون ان يترك شيئاً خالياً من قوته ، بل بالعكس يحيى كل شىء ويعضد كل شىء فى كل مكان ، كل شىء على انفراد ، وكل الأشياء مجتمعة . ويجمع إلى واحد مبادىء كل الكائنات المحسوسة ، أى الحرارة والبرودة والرطوبة والجفاف ، ولا يسمح لها بان ينازع بعضها بعضاً ، بل تتفق كلها فى تناسق واحد.

٢ — وبفضله وبفضل قوته لا تتنازع النار مع البرودة ، ولا الرطوبة مع الجفاف ، بل تمتزج معاً المبادىء المتناقضة كأنها اخوة أو اصدقاء ، وتعطى حياة للأشياء التى نراها ، وتكون المبادىء التى بها توجد الاجسام . وباطاعته — أى باطاعة الله

(١) كو ١ : ١٥ - ١٨

الكلمة ـ فان ما على الأرض يحيا وما فى السماء ينتظم. وبفضله تتحرك كل البحار والمحيطات العظمى فى حدودها المعينة، بينما ـ كما قدمنا ـ تعطى الأرض الجافة أعشاباً وتكتسى بكل انواع النباتات. ولعدم اضاعة الوقت فى تعداد التفاصيل مع وضوح الحق نقول انه لا يوجد شيء كائن يشغل حيز إلا وخلق به وقائم به كما يقول أيضاً اللاهوتى (١) «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان».

٣ — وكما انه اذا ضبط موسيقى قيثارة، وبذكائه جعل النغمات العالية متوافقة مع المنخفضة، والنغمات المتوسطة مع بقية النغمات، وكانت نتيجة هذا اعطاء نغمة واحدة، هكذا أيضاً اذ امكست حكمة الله الكون كقيثارة فجعلت ما فى الهواء متوافقاً مع ما على الأرض، وما فى السماء متوافقاً مع ما فى الهواء، واتحدت الجزء مع الكل، محركا كل الأشياء باشارته وارادته، كانت النتيجة الطيبة الجميلة وحدة الكون ونظامه، أما هو فانه يلبث ـ غير متحرك ـ مع الآب، مع انه يحرك كل الأشياء بتدبيره كما يبدو صالحاً لكل شيء أمام أبيه.

---

(١) يو ١ : ١ — ٣

٤ — لان ما يدعو للدهشة فى لاهوته هو هذا : انه باجراء واحد لارادته ، وبنفس الاجراء الواحد ، يحرك كل الاشياء فى آن واحد ، لا فى فترات معينة ، بل كل الأشياء مجتمعة ، المستقيم والمنحنى ، ما هو فوق وما هو أسفل وما توسطهما ، الرطب والبارد والحار ، ما يرى وما لا يرى ، وينظمها بحسب طبائعها المختلفة . لأنه بصفة مستمرة ، وباشارة واحدة منه ، يتحرك المستقيم مستقيماً ، والمنحنى أيضاً والمتوسط يسير كل فى حركته . والحار ينال حرارة ، والجاف جفافاً ، وكل الأشياء تحيا وتنتظم به حسب طبائعها المختلفة ، ونتيجة لهذا فهو يخرج حقاً توافقاً عجيباً الهيا .

الفصل الثالث والاربعون

ثلاثة تشبيهات لايضاح علاقة الكلمة بالكون .

١ — ولأمكان فهم حقيقة عظمى كهذه بأحد الامثلة لنشبه ما نريد شرحه بجوقة مرتلين . فكما ان الجوقة مكونة من اشخاص مختلفين ، أطفال وسيدات ورجال ، مسنين وأحداث . واذا ما اعطى احدهم (قائدهم) اشارة فكل منهم يخرج صوتا

متفقاً مع طبيعته وقوته ، الرجل كرجل ، والطفل كطفل ، والمتقدم فى السن كمسن ، والشاب كشاب، بينما الكل يؤلفون نغمة واحدة متوافقة .

٢ — أو كما ان نفسنا تحرك فى وقت واحد حواسنا المختلفة وفق الوظيفة التامة لكل حاسة ، حتى اذا مثل أى موضوع تحركت كل الحواس معاً ، فالعين ترى ، والأذن تسمع ، واليد تلمس ، وحاسة الشم تشم ، والحلق يذوق ، وكثيراً ما تحرك سائر اعضاء الجسم أيضاً ، فالقدمان تسيران مثلا .

٣ — أو - لايضاح قصدنا بمثل ثالث - كأن مدينة عظيمة جداً قد بنيت وهى تدار بوجود الحاكم والملك الذى بناها ، لأنه حينما يكون حاضراً ويعطى الأوامر ويضع عينه على كل شىء فالكل يطيعون ، البعض يشتغلون فى الزراعة ، والآخرون يسرعون للسواقى لأخذ المياه ، والآخر يخرج لتدبير المؤونة ، الواحد يذهب لمجلس الأعيان ، والآخر يدخل الاجتماع ، والقاضى يذهب إلى المنصة ، والرئيس إلى مكتبه . والصانع أيضاً يجلس إلى مهنته ، والنوتى ينزل إلى البحر ، والنجار إلى مصنعه ، والطبيب إلى علاجه ، والمهندس المعمارى إلى بنائه ، وبينما يذهب الواحد إلى الريف يعود منه الآخر ، وبينما يسير

البعض حول المدينة يخرج منها الآخرون ويعودون إليها . على أن كل هذا يسير ويدبر بحضور الحاكم الواحد وبتدبيره .

٤ — هكذا أيضاً يجب أن تكون فكرتنا عن كل الخليقة — وأن كان المثل غير واف بالغرض — ولكن بفكرة أوسع . لأنه بايماءة واحدة ، كما من كلمة الله ، تنتظم كل الاشياء فى وقت واحد ، وكل يؤدى وظيفته المناسبة ، وكلها تؤول معاً الى نظام واحد .

الفصل الرابع والاربعون

تطبيق التشبيهات على كل الكون ، مايرى وما لا يرى

١ — لأنه بايماءة وبقوة كلمة الآب الالهى الذى يدبر ويترأس على الكل . تدور السماء وتتحرك الكواكب ، والشمس تضىء . والقمر يسير فى دائرته . والهواء يتلقى نور الشمس والاثير حرارتها . والرياح تهب . والجبال ترتفع شامخة . والبحر يضطرب بالامواج . والكائنات الحية فيه تنمو . والأرض تلبث ثابتة . وتثمر . والانسان يتكون ويحيا ويموت ثانية . وكل الأشياء — مهما كانت — تحيا وتتحرك .

والنار تحرق ، والماء يبرد . والينابيع تنبع . والأنهار تفيض . والفصول والساعات تتوالى . والأمطار تهطل . والسحب تمتلئ . والبرد يتكون . والثلج والجليد يجمدان . والطيور تطير . والزحافات تسير ، وحيوانات المياه تعوم . والبحر يعبر . والارض تزرع وتعطى محصولات فى أوقاتها . والنباتات تنمو . بعضها صغير ، والبعض ينضج : والبعض الآخر يشيخ فى نموه ويتلف . واذ تختفى بعض الأشياء يتوالد البعض الآخر ويظهر الى النور .

٢ — على ان كل هذه الاشياء ، وأكثر منها مما لا يمكن ذكره لكثرتها ، اذ يعطيها كلمة الله -صانع العجائب والمعجزات- نوراً وحياة ، يحركها ويرتبها بايماءة منه ،جاعلا الكون واحداً . كما انه لا يتغافل حتى عن القوات غير المنظورة . لأنه اذا يعتبر هذه أيضاً فى الكون ، على أساس انه هو خالقها أيضاً ، فانه يضبطها معاً ، ويحييها بايماءة منه وبتدبير عنايته . ولا يمكن أن يلتمس أى عذر لعدم الايمان بهذا .

٣ — وكما انه بعنايته تنمو الاجساد ، والنفس العاقلة تتحرك وتنال الحياة وقوة التفكير ، وهكذا لا يحتاج الا لبرهان وجيز لأننا نرى ما هو حادث،هذا أيضا نفس كلمة الآب باشارة

بسيطة بقوته يحرك ويضبط الكون المنظور والقوات غير المنظورة ، معطياً لكل شيء وظيفته المناسبة ، وبذلك تتحرك القوات الالهية فى طريق أكثر الحية ، أما الأشياء المنظورة فانها تتحرك كما نراها . على انه هو نفسه ، اذ هو فوق الكل ، وهو الضابط الكل والملك والقوة المدبرة ، فانه يفعل كل شيء لمجد أبيه ومعرفته ، حتى يعلمنا بنفس الاعمال الصادرة من قبله قائلا «بعظم جمال المبروءات يبصر فاطرها على طريق المقايسة(١)» .

الفصل الخامس والاربعون

الخاتمة . تعليم الكتاب المقدس عما ورد فى الباب الأول .

١ — وكما انه بالتطلع إلى السماء ورؤية نظامها ونور الكواكب يمكن استنتاج ادراك «الكلمة» الذى نظم هذه الاشياء ، هكذا برؤية «الكلمة» وجب على المرء ان يرى أيضا الله اباه ، الذى اذ خرج من قبله يمكن يدعى بحق ترجمان أبيه ورسوله .

٢ — وهذا يمكن ان يراه المرء من اختباراتنا . لانه ان كانت الكلمة حينما تخرج من البشر نستنتج ان العقل هو باعثها ، وبتفكيرنا

(١) حكمة ١٣ : ٥

فى الكلمة نستطيع ان نرى بعقولنا العقل الذى تعلنه، هكذا أيضا - مع الفارق فى القياس بدرجة لا تقدر - اذ نرى قوة « الكلمة » فاننا نحصل أيضا على معرفة أبيه الصالح، كما يقول المخلص نفسه « الذى رآنى فقد رأى الآب(١) ». على أن هذا يعلنه كل كتاب موحى به بوضوح أكثر وسلطان أعظم، حتى اننا بدورنا نكتب اليك بجسارة كما نفعل، وانت ان لجأت اليها استطعت ان تتحقق مما نقول.

٣ — لان البرهان اذا تأيد بسلطة أعلى صار من غير الممكن دحضه. اذاً فمن البداءة علمت الكلمة الالهية الشعب اليهودى بقوة عن ابادة الاصنام حين قالت(٢) « لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت ». على ان سبب ابادتها يعلنه كاتب آخر(٣) « أصنام الأمم فضة وذهب. عمل ايدى الناس. لها أفواه ولا تتكلم. لها أعين ولا تبصر. لها آذان ولا تسمع. لها مناخر ولا تشم. لها ايد ولا تلمس. لها أرجل ولا تمشى ». كما انها لم تدع عقيدة الخليقة تمر بسكون؛ ولكنها اذا عرفت جمالها تمام المعرفة، وخشية من أن يعبد أى

(١) يو ١٤ : ٩ (٢) خر ٢٠ : ٤ (٣) مز ١١٥ : ٤ — ٧

امرىء هذه الأشياء ـ اذا ما تأمل فى هذا الجمال فقط ـ كأنها آلهة ، بدلا من أن ينظر اليها كصنعة الله فانها علمت البشر مقدماً بقوة حين قالت (١) «« وحين ترفع عينيك وتنظر الشمس والقمر وكل جند السماء فلا تضل وتعبدها هذه التى أعطاها الرب إلهك لجميع الشعوب التى تحت السماء »» . ولكنه أعطاها لا لكى تكون آلهتهم بل لكى يعرف الأمم بواسطتها ـ كما قلنا ـ الله صانعها كلها .

٤ — لان شعب اليهود قديماً كانت لديهم تعاليم وافرة ، ولذلك فقد كانت لديهم معرفة الله ليس فقط من أعمال الخليقة بل أيضاً من الكتب الالهية . وعلى العموم فانه لكى يبعد البشر عن الضلال والتصورات غير المعقولة عن الأصنام نراه يقول (٢) «« لا يكن لك آلهة أخرى سواى »» وليس هذا معناه أنه ينهاهم عنها كأنه توجد آلهة أخرى ، بل لئلا يتحول أى واحد عن الاله الحقيقى ويتخذ لنفسه آلهة من العدم كتلك التى تدعى آلهة فى كتابات الشعراء والكتاب مع أنها ليست آلهة . ونفس اللغة تدل على أنها ليست آلهة «« لا يكن لك آلهة

(١) تث ٤ : ١٩ (٢) خر ٢٠ : ٣

أخرى ،،. وهذه تشير فقط إلى المستقبل . وما يشير إلى المستقبل ليس له وجود وقت التكلم .

الفصل السادس والاربعون

تعليم الكتاب المقدس عما ورد فى الباب الثالث

١ — اذاً فهل مرت بسكون تلك التعاليم الالهية التى فندت الحاد الوثنيين وأمرت بابادة الاوثان ، أم هل تركت الجنس البشرى ليسيروا دون امدادهم قطعاً بمعرفة الله ؟ كلا فانها سبقت عقولهم حين قالت (١) ،، اسمع يااسرائيل الرب الهك إله واحد ،، وأيضا ،، تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل قوتك ،، وأيضا ،، للرب إلهك تسجد ، واياه وحده تعبد . وبه تلتصق ،،

٢ — أما ان عناية « الكلمة » - الذى هو فوق الكل - وقوته المنظمة قد شهدت لهما كل الكتب الموحى بها فان هذه الفقرة تكفى لتدعيم حجتنا حيث يقول الرجال الذين يتكلمون بلسان الله (٢) « اسست الأرض فثبتت . اليوم يثبت حسب

(١) تث ٦: ٤ و ٥ و ١٣ (٢) مز ١١٩ : ٩٠ و ٩١

أحكامك ، وأيضا (١) ، رنموا لالهنا بعود . الكاسى السموات سحابا المهيء للأرض مطراً المنبت حشيشا على الجبال وعشباً أخضر لخدمة الانسان . المعطى للبهائم طعاما ،

٣ — ولكن بمن يعطيها الا بمن خلقت به كل الأشياء ؟ لأن العناية المهيمنة على كل الأشياء هى بطبيعة الحال من اختصاص ذاك الذى خلقت به . ومن يكون هذا إلا كلمة الله . الذى يقول عنه فى مزمور آخر (٢) ، بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها ، لأنه يخبرنا أن كل الأشياء خلقت فيه وبه .

٤ — من أجل هذا فانه هو أيضا يقنعنا ويقول (٣) ، هو تكلم فصنعت . هو أمر فخلقت ، كما يؤيد قولنا أيضا موسى العظيم - فى بدء وصفه للخليقة - بعبارته قائلا (٤) : وقال الله ، نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا ، لأنه أيضا عندما كان يخلق السماء والأرض وكل الأشياء قال اليه الآب (٥) ، ليكن جلد .. ولتجتمع المياه ... ولتظهر اليابسة ... لتنبت الأرض عشباً

(١) مز ١٤٧ : ٧ — ٩ (٢) مز ٣٣ : ٦ (٣) مز ١٤٨ : ٥
(٤) تك ١ : ٢٦ (٥) تك ١ : ٦ — ١١

وبقلا ، لذلك يجب أيضا اتهام اليهود لسبب عدم التفاتهم للكتب المقدسة باخلاص .

٥ — لأنه يمكن توجيه السؤال اليهم : لمن كان الله يتكلم مستعملا صيغة الأمر ؟ لو انه كان وقتئذ يأمر ويخاطب الاشياء التى كان يخلقها لكان الكلام لغوا لانها لم تكن قد خلقت بعد ، بل كانت على وشك أن تخلق . على أنه لا يمكن لأحد أن يتحدث لما ليس له وجود ، أو يوجه أمراً لما لم يخلق بعد لكى يخلق . لأنه لو كان الله قد أصدر الأمر للأشياء المزمع أن تكون لكان قد قال « كونى أيتها السماء وكونى أيتها الأرض وأظهر أيها العشب وكن أيها الانسان » ولكنه فى الواقع لم يفعل هكذا ، بل أصدر الأمر هكذا « نعمل (لنعمل) الانسان » ، « ولينبت العشب » ، وهذا دليل على أن الله كان يتكلم عنها لشخصية أخرى موجودة . ويتبع هذا أنه كانت هنالك شخصية أخرى معه تكلم معها عند ما خلق كل الأشياء .

٦ — فمن اذاً يمكن أن يكون هذا إلا كلمته ؟ لأنه لمن يمكن أن يقال أن الله تكلم إلا لكلمته ؟ أو من كان معه عندما خلق

كل الكائنات المخلوقة إلا حكمته التى قالت (١) « لما خلق السماء والارض كنت هناك أنا معه » . على أنه عند ذكر السماء والأرض فان هذا يتضمن أيضاً كل مخلوقات السماء والارض .

٧ — على أنه اذ كان حاضراً معه كحكمته وكلمته ، ومتطلعاً إلى الآب ، صوّر الكون ورتبه ومنحه نظاماً ، ولانه هو قوة الآب أعطى كل الاشياء قوة الوجود ، كما يقول المخلص (٢) « كل الاشياء التى أرى الآب يعملها هذه أيضاً أعملها كذلك » وقد علم تلاميذه القديسين أن « الكل به وله قد خلق » .

٨ — ولانه المولود الصالح من الآب الصالح ، والابن الحقيقى ، فهو قوة الآب وحكمته وكلمته ، ليس عن طريق المشاركة (٣) ، ولا كأن هذه الصفات اكتسبها من الخارج ، كما هو الحال مع من يشتركون فى طبيعته ، ويصيرون حكماء به ، وينالون منه قوة وتعقلا ، بل أنه هو نفس حكمة الآب ، ونفس كلمته ، ونفس قوته ، ونفس النور ، ونفس الحق ، ونفس البر ، ونفس الفضيلة ، وهو يقيناً صورته الظاهرة .

---

(١) أم ٨ : ٢٧ (٢) يو ٥ : ١٩ [illegible] (٣) كانت هذه هى آراء الاريوسيين وغيرهم من المبتدعين الكثيرين

وبهاؤه . وشبهه . وبالاجمال هو ثمرة الآب الفائقة الكمال . وهو وحده الابن وصورة الآب غير المتغيرة .

الفصل السابع والاربعون

ضرورة الرجوع إلى الكلمة إن أردنا تجديد طبيعتنا الفاسدة

١ — إذاً من ذا الذي يستطيع أن يعلن الآب بالاحصاء (١) لكي يتبين قوات كلمته ؟ لأنه كما أنه هو كلمة الآب وحكمته هكذا أيضاً اذ تنازل للمخلوقات قد صار نفس بهائه ونفس الحياة والباب والراعي والطريق، كما صار ملكاً وحاكما ومخلصا فوق الكل ، ونور الحياة وواهبها ، والمهيمن على الكل، وذلك لكي يعرّف العالم بمن ولده فيدركه . ولأن الآب له ابن كهذا مولود منه ، وصالح وخالق ، فانه لم يخبئه عن نظر خلائقه ، ولكنه يعلنه يوماً فيوماً بواسطة نظام وحياة كل الأشياء التي هي صنعته .

٢ — على أنه فيه وبه يعلن نفسه أيضا كما يقول المخلص (٢)

---

(١) أي ليحصي قوات كلمته (٢) يو ١٤ : ١٠

« أنا فى الآب والآب فى » ، ويتبع هذا أن « الكلمة » فى ذاك الذى ولده ، وان المولود يحيا مع الآب إلى الأبد . وعلى هذا الاساس ، ولانه لا شىء خارج عنه ، بل السماء والارض وكل ما فيهما تعتمد عليه . الا أن البشر فى حماقتهم قد نبذوا معرفته وعبادته . واكرموا الاشياء التى لا وجود لها بدل الموجودة « وعوضا عن الله اليقينى الحق الهوا ما ليس له وجود . » وعبدوا المخلوق دون الخالق » (١) وهكذا حكموا على أنفسهم بالحماقة والجهل والفساد .

٣ — وما مثلهم إلا مثل من يعجب بالصنعة أكثر من الصانع ، أو من يدهش للاعمال العامة فى المدينة حتى يستخف بمن بنوها ، أو من يمتدح آلة موسيقية ولكنه يحتقر الشخص الذى صنعها ونغمها . يا لها من حماقة وجهل محزن فى نظر العين البشرية . لانه كيف كان ممكناً لهم أن يعرفوا البناء أو السفينة أو القيثارة ان لم يكن صانع السفينة قد بناها ، والمهندس المعمارى شيدها ، والموسيقى صورها

٤ — وكما ان من يفكر بهذه الطريقة مجنون ، بل يتخطى كل حدود الجنون ، هكذا يُعتبرون مخبولين فى عقولهم — فى

---

(١) رو ١ : ٢٥

أبي - كل الذين لا يدركون الله ولا يعبدون كلمته ربنا يسوع المسيح مخلص الكل ، الذي به ينظم الاب كل الأشياء ويضبطها ، ويهيمن على كل الكون ، والذى اذ آمنت به واتقيته يا صديقى حبيب المسيح فثق وافرح وليمتلىء قلبك رجاء ، لأن الخلود وملكوت السموات هما ثمر الايمان به وتقواه اذا ما تزينت النفس حسب نواميسه . لأنه كما ان جزاء الذين يسلكون حسب مثاله الحياة الابدية ، هكذا جزاء الذين يسلكون الطريق المضاد لا طريق الفضيلة ، هو الخزى العظيم ، والهلاك بلا مغفرة فى يوم الدينونة ، لأنهم رغم معرفتهم طريق الحق كانت اعمالهم بعكس معرفتهم .

تقوم المكتبة بطبع ونشر الكتب الدينية على اختلاف أنواعها :ـ

طقسية ـ قبطية ـ عقائدية ـ وعظية

تعليمية ـ تفسيرية ـ تاريخ

روائية ـ مدائح وترانيم

صور دينية

آيات